عبد العزيز عبد الرحمن قارة

فصول مختصرة من كتاب

الإسلام والعنصرية

منتدى إقرأ الثقافي
www.iqra.ahlamontada.com

منتدى إقرأ الثقافي

فصول مختصرة من كتاب

الإسلام والعنصرية

المؤلف والناشر

عبدالعزيز عبدالرحمن قارة

المدينة المنورة - ص ب ٢٥٥٣٨

المملكة العربية السعودية

فاكس / هاتف : ٨٤٨١٤٠٦

ح عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن محمد قارة، ١٤١٨هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
قارة، عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن محمد
فصول مختصرة من كتاب الإسلام والعنصرية - المدينة المنورة
١٣٨ ص ؛ ١٧ × ١٢
ردمك X : - ٣٥٧ - ٣٤ - ٩٩٦٠
١ - الإسلام والتفرقة العنصرية أ - العنوان
ديوي : ٣٢٠٥٦، ٢١٤ ١٨/١٨٣٦
رقم الإيداع : ١٨/١٨٣٦
ردمك X : - ٣٥٧ - ٣٤ - ٩٩٦٠

يسمح لجميع الجماعات والمراكز الإسلامية في أنحاء العالم طبع هذا الكتاب وترجمته للغات المحلية بدون الرجوع للمؤلف، وكذلك طلب نسخ مجانية لهذا الغرض.

كما يحق لجميع المكتبات العامة بمختلف أنواعها طلب نسخ مجانية من هذا الكتاب وذلك عن طريق الكتابة للمؤلف على عنوانه التالي :

المملكة العربية السعودية

المدينة المنورة - ص ب ٣٥٥٣٨

هاتف جوال : ٠٥٥٣٠٧٠١٩ هاتف : ٨٤٨١٤٠٦

الطبعة الأولى

شعبان : ١٤١٨هـ

بمطابع الرشيد بالمدينة المنورة - ت : ٨٣٦٨٣٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى إخواني الدعاة والأساتذة والمربين . .

إلى كل من يملك الكلمة الطيبة في جميع أنحاء العالم . .

أهدي إليهم هذا الكتاب المتواضع في هذا الموضوع الشامخ . .

ليقوموا بغرس الأخوة الإيمانية في قلوب أجيالنا المتلاحقة وبراعمنا الناشئة، وأن شعار كل مسلم ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ و﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ . .

* * *

يسمح لجميع الجماعات والمراكز الإسلامية في أنحاء العالم طبع هذا الكتاب وترجمته للغات المحلية بدون الرجوع للمؤلف ، وكذلك طلب نسخ مجانية لهذا الغرض .

كما يحق لجميع المكتبات العامة بمختلف أنواعها طلب نسخ مجانية من هذا الكتاب وذلك عن طريق الكتابة للمؤلف على عنوانه التالي :

المملكة العربية السعودية

المدينة المنورة

ص . ب ٢٥٥٣٨ ـ هاتف جوال ٠٥٥٣٠٧٠١٩

والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل ، ، ، ، ، ،

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله مبدع الأمم ورب العرب والعجم والقبائل والشعوب، وخالق البيض والأسمر، وموجد الأحمر والأصفر، سبحانه جعل اختلاف الألوان واللغات من أعظم الآيات البينات، وميز الإنسان بتقييد أعماله وتطويل آماله، حتى تكون أحوال المتقدمين عبرة للمتأخرين، والصلاة والسلام على من صدقت أخباره، وجدت آثاره، الذي جاء من الأنباء بما فيه مزدجر، وعبرة لمن اعتبر، وصحبة الصادقين وآله المهتدين.

إن لكل أمة زمنًا تنهض فيه من رقدتها، وتفيق فيه من سكرتها، وتنشط فيه من عقالها، وتسود فيه على غيرها، غير أن دوام شركتها، وقوة سلطانها، وسيادتها على الأمم، يكون إذا حققت طاعتها لرب العباد، وتوافرت لديها الألفة والعزيمة، وقويت الرابطة والجامعة بين أفرادها، واعتصموا بحبل الله جميعًا، واتخذوا سبيل الرشد سبيلاً، وطبقوا ما كان عليه سلفنا الصالح من التوادد والتحاب، والتواصل والتقارب، وقد يكون إلى أجل قريب، وذلك فيما إذا وجد التنافر والتباغض وحب الراحة والترف

بين أفرادها، والتفاضل والتعالي والسخرية والاستكبار والاحتقار بين شعوبها وقبائلها وأجناسها وأوطانها وألوانها.

ونتيجة لما لمسته وشاهدته وسمعته في جولاتي ورحلاتي بين الشعوب والقبائل في آسيا وأفريقيا وأوروبا عن احتقار المسلم الجاهل لأخيه في الإسلام، وتعاليه عليه في جنسه أو عرقه أو قبيلته أو لونه أو وطنه، مما أدى إلى سفك الدماء في كثير من البلاد، أو انتشار الحقد والعداء بين أفراد الأمة الإسلامية وشعوبها وأجناسها، بينما أعداء الإسلام كأوروبا مثلاً فيقوم مفكروها وحكمائها بالدعوة إلى التقارب لتوحيد بلادهم وشعوبهم، رغم اختلاف لغاتهم ومذاهبهم وأجناسهم وعروقهم، وقد تنكروا لمبادئهم القديمة وقومياتهم التي تحاربوا من أجلها، وسفكوا دماءَهم في سبيلها، في حين أن المسلمين متفرقون مشتتون، تتنازعنا الأهواء والعصبيات القبلية والشعوبية والإقليمية، بل إن الكثير منا يدعو لمزيد من التفرقة والانفصال.

لقد بلغت العنصرية في هذا العصر مرحله خطيرة للغاية حيث تنوعت أشكالها وتعددت ألوانها، لقد كانت عنصرية الجاهلية قبل الإسلام منحصرة ومحددة بعنصرية القبائل وعنصرية التفاخر، وقد تلاشى هذا النوع من العنصرية بعد الإسلام بدرجة كبيرة جداً بدليل

أننا نجد ابتداءً من عهد العباسيين مئات من كبار القادة والملوك والزعماء من أجناس مختلفة جدًا، وقد أفنوا حياتهم في خدمة الإسلام والدفاع عنه في ظل الخلافة العباسية، رغم ما اعتراها من ضعف وعجز، بل كان أغلبهم من المماليك الذين تربوا في مجتمع إسلامي، ومع هذا لم يفكر أحد منهم في أن ينادي بعنصرية جنسه أو عرقه، بل كان الجميع يحرصون على وحدة الأمة الإسلامية بكافة أجناسها، ويبذلون كافة جهودهم لجمع وتوحيد البلاد الإسلامية المنفصلة سواء عن طريق التفاهم، أو بالقوة العسكرية التي يملكونها.

أما في عهدنا الحاضر فقد بلغت العنصرية أوجها، ولا زالت في ازدياد وتفاقم مما أدى وسيؤدي إلى مزيد من الحقد والكراهية بين المسلمين، خاصة تلك الشعوب المسلمة التي تقتل بعضها بعضًا في سبيل عنصرية القبيلة والجنس والعرق.

والعجيب الغريب أن أغلب علماء المسلمين في كل بلد وفي كل شعب يقفون صامتين، لا يحركون ساكنًا لإيقاف هذا البلاء الممِّر، لهذا أحببت أن أضع كتابًا يتضمن بيان ذلك مستهديًا ومسترشدًا بكتاب الله سبحانه الذي لا يأتيه الباطل، وما جاء من الأحاديث النبوية الشريعة، وسياسة ومنهاج الخلفاء الراشدين، وغيرهم من

الصحابة الأجلاء والصالحين، وخاصة السادة الأتقياء من ذرية خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم جميعاً، وعلى آلهم وذرياتهم وكافة من تبعهم من المؤمنين والصالحين إلى يوم الدين، وذلك للحدِّ من هذه العنصرية النتنة التي تزداد انتشاراً وتطرفاً وإرهاباً، حتى أدت في بعض البلاد إلى قتل المسلم لأخيه المسلم.

لقد حرم الله قتل النفس البشرية مهما كان جنسها ودينها وعقيدتها، خاصة إذا دخلت البلد الإسلامي بعهد وأمان، حتى لو كان من امرأة أو طفل أو عقد عمل من الدولة، أو من أي فرد مسلم، إلا إذا حاربوا الإسلام والمسلمين وعملوا وخططوا على إذلال هذه الأمة والحط من هذا الدين، ومحاربته بشتى الوسائل والسبل.

والكتاب لايقصد فئة معينة أو جماعة محددة أو بلداً بعينه، لأن العنصريين للأسف موجودون فى كل مكان من أنحاء العالم الإسلامي حتى الأقليات المسلمة التي يفترض فيها أن تتجمع وتتحد، نجد في أغلبها من العنصريات الخطيرة التي أدت إلى إزهاق أرواح الكثيرين وسفك دمائهم وفقدان الأمن والطمأنينة بينهم لدرجة الكيد للمؤلف والإساءة إليه بسبب مهاجمته لهذا الضلال ومحاولته إقناعهم بالعودة للأخوة الإسلامية.

إنها محاولة متواضعه من شخصي الضعيف سائلاً المولى سبحانه أن ينفع بها المسلمين فى كل مكان، آملا من الدعاة والتربويين أن ينهجوا هذا النهج ويزيدوا هذا الموضوع كتابة وبحثاً وتفصيلاً، وأن يترجموا هذا الكتاب أو بعضه إلى لغة بلادهم بدون الرجوع إلى المؤلف واستئذانه، وأهيب بكافة الموسرين فى كل مكان من عالمنا الإسلامى بطبع هذه النسخة سواء كانت بالعربية أو بأية لغة أخرى وتوزيعها مجاناً.

وقد لُخِصتْ محتويات هذا الكتاب من بعض فصول الكتاب الأساسي «الإسلام والعنصرية» لتسهيل قراءته ونشره بين المسلمين، ومن أراد الاطلاع على مزيد من أنواع العنصريات الأخرى فليرجع إلى الكتاب الأصل.

ونسأله سبحانه أن يجعله خالصاً لوجه الكريم، ويجزي من أشرف على تصحيحه خير الجزاء وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.

المؤلف

الفصل الأول

كيف عالج القرآن الكريم العنصرية بأنواعها

كلكم لآدم فلا تفاوت

البشرية كلها من أصل واحد، هذه حقيقة أثبتها القرآن الكريم وأحاديث خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه .

إنها حقيقة يؤمن بها كل من آمن بالله رباً وبمحمد نبياً وبالإسلام ديناً، بل تؤمن بها جميع الأديان السماوية السابقة .

ومع هذا فمن العجب أن نجد نحن المسلمين من بيننا من يعتقد أن أصله أفضل، أو أن جنسه أرقى .

آيات الله سبحانه وتعالى في خلقه

إن الله سبحانه وتعالى فاضل بين الناس في أمور كثيرة في الإيمان والكفر في العلم والجهل، في الغنى والفقر، في الجمال والقبح، في القوة والضعف، في الذكاء والغباء، ولكن ليس في الأصل والنسب. وهذه الصفاتُ التي بتفاضل الناس بها من علم ورزق وجمال وقوة

وغيرها، موجودة في كل شعب، وفي كل قبيلة ، وفي كل مدينة وبلد وقرية في العالم كله، وهي من آيات الله سبحانه وتعالى . حتى بين الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً، قال تعالى: ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾[١] .

والله سبحانه وتعالى جعل البشرية شعوباً وقبائل للتعارف والتآلف، والتعاون والتحابب .

والمسلم لايحتقر الإنسان غير المسلم لشخصه، بل يحتقر اعتقاده إذا كان مشركاً أو كافراً، بدليل أنه إذا أسلم المشرك أو الكافر أصبح أخاً للمسلم على الفور، بل إن المسلم مكلف أن يهجر أخاه المسلم إذا كان مجرماً أو عاصياً أو منحرفاً أو ظالماً أو خائناً حتى لو كان من قبيلته أو عائلته أو أبنائه، ويصبح أحب الناس إليه إذا توقف عن ذلك وتاب إلى الله .

من هو الأكرم عند الله ؟

لقد سوّى الإسلام بين بني البشر، وقرّر وأكّد المساواة الكاملة بين الجميع، وليس هناك مايسمى (طبقية) داخل المجتمع الإسلامي، فالجميع متساوون في الحقوق والواجبات، وليس هناك ميزة لأحد

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٥٣.

على الآخر إلا بالتقوى، فمن كان أكثر عبادة أو عملا لمصلحة الإسلام أو جهاداً في سبيله بنفسه وماله ، فهو الأفضل والأكرم عند الله، وعندما يقوم بهذه الأعمال السامية ليس له فضل بين الناس، لأن هذه الأعمال ابتغى بها وجه الله سبحانه وتعالى وليس ليتفاضل بها على الآخرين، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾(١) .

إبليس أول عنصري يستكبر عن أمر ربه ويدَّعي أنه الأفضل

قال الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾(٢)

---

(١) سورة الحجرات الآية ١٣ .

(٢) سورة ص الآيات ٧١ـ٨٦ .

هذه القصة - قصة إبليس وآدم - ذكرها الله تبارك وتعالى في سورة البقرة، وفي أول سورة الأعراف، وفي سورة الحجر، والإسراء، والكهف، وها هنا في سورة ص. وفيها عِبَرٌ ومواعظ جليلة لكافة العنصريين، فإبليس لعنه الله كان من العباد الصالحين المجتهدين بالعبادة، وكان خازناً على الجنان وله سلطان سماء الدنيا وسلطان الأرض وكان من أشرف الملائكة وأشرفهم قبيلة،[1] وعندما خلق الله آدم اعتقد إبليس أنه أفضل منه ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ وعندما أمر الله سبحانه وتعالى الملائكه بالسجود لآدم تعظيماً لما خلق بيديه وسجدوا جميعاً ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ومن هنا نعلم أن الاستكبار على الله وعلى الناس يعني الكفر أو يؤدي إلى الكفر، وأن التفاضل بين الناس أو اعتقاد بعض البشر أنهم أفضل من الآخرين بجنسهم أو عرقهم أو قبائلهم أو عائلاتهم أو ألوانهم أو بلدانهم أو شعوبهم هو الاستكبار أو يؤدي إلى الاستكبار ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ فالاستكبار والاعتقاد بالعلو بمعنى أنه أعلى من الآخرين أي أفضل أو أحسن أو أرقى أو أعز منهم كلها تؤدي إلى الكفر وإلى معصية الله ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

---

(١) انظر تاريخ الطبري ج١.

إن هاتين الجريمتين العظيمتين الاستكبار والعلو هما أصل البلاء وأصل الشر وسبب رئيسي للكفر ومعصية الله وغضبه وأنَّ على الإنسان المسلم ألا يشعر بالاستكبار على الآخرين وألا يشعر بالعلو بمعنى أنه الأفضل والأحسن والأرقى والأعز. ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ فإبليس لعنه الله لم يحاول قتل آدم أو سفك دمه بل قال: ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾.

جاء في تفسير الطبري لهذه الآية: يقول جل ثناؤه قال إبليس لربه: فعلت ذلك فلم أسجد للذي أمرتني بالسجود له لأني خير منه، كنت خيراً منه لأنك خلقتني من نار وخلقته من طين والنار تأكل الطين وتحرقه فالنار خير منه يقول لم أفعل ذلك استكباراً عليك ولا لأني كنت من العالين ولكني فعلته من أجل أني أشرف منه وهذا تقريع من الله للمشركين الذين كفروا بمحمد ﷺ وأبوا الانقياد له واتباع ما جاءهم به من عند الله استكباراً عن أن يكونوا تبعاً لرجل منهم حين قالوا ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ﴾[1] ﴿ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾[2] فقص عليهم تعالى ذكره قصة إبليس وإهلاكه بالاستكبار عن السجود لآدم بدعواه أنه خير منه من أجل أنه خلق من

---

(١) سورة ص الآية ٨.

(٢) سورة الأنبياء الآية ٣.

نار وخلق آدم من طين حتى صار شيطانًا رجيمًا وقعت عليه من الله لعنته محذرًا بذلك أن يستحقوا باستكبارهم على محمد وتكذيبهم إياه فيما جاءهم به من عند الله حسدًا وتعظيمًا من اللعن منه والسخط ما استحقه إبليس بتكبره عن السجود لآدم(١).

ولهذا فإن إبليس أول عنصري في التاريخ، وأول من أوجد العنصرية، عنصرية التفاضل وعنصرة الجنس حيل فضل نفسه على آدم عليه السلام.

والفرق بين إبليس والعنصريين من البشر أن إبليس ذكر سببًا وحجة لم تنفعه وهي أنه خلق من النار بينما آدم خلق من طين كما قال: ﴿أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١]، وذُكر أنه من طين منتن كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦]، ورغم ذلك فقد أنزل الله لعنته على إبليس. بينما العنصريون من البشر يفضلون أنفسهم على بني جنسهم بدون سبب أو مبرر مع أن أصلهم واحد أباهم واحد وأمهم واحدة ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾﴾ [الحجر: ٣٤، ٣٥]، ويجب أن نوضح هنا أن إبليس لعنه الله يعترف بالله ربًا ﴿قَالَ رَبِّ

(١) تفسير الطبري.

﴿فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ويعترف أيضاً باليوم الآخر بل يدعو الله أن يبقيه إلى يوم البعث فيستجيب الله تعالى له زيادة في فتنته ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ * إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ ولم يكن ينقصه أن يعلم أنَّ الله هو الخالق، المالك، الرازق، المدبر الذي لا يقع في هذا الوجود شيء إلا بإذنه وقدره ولكنه لم يطع الأمر لأنه اعتقد أنه الأفضل.

وعندما ضمن بقاءه إلى يوم البعث أقسم بالله وبعزته أن يغوي بني آدم أجمعين وأن يضلهم ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ولا شك أن من ضمن إغوائهم أن يجعلهم يتفاضلون فيما بينهم، ويعتقد البعض منهم أنهم الأفضل والأرقى والأعز والأعلى في أجناسهم وقبائلهم وعروقهم وشعوبهم وألوانهم وعائلاتهم وأنسابهم وبلدانهم لتكون جريمتهم ومعصيتهم مشابهة لجريمته وعصيانه ولأنه لن ينسى أن آدم هو سبب الطرد والغضب واللعنة ولهذا فهو مصمم على الانتقام وبهذا تكون جريمة العنصريين أكبر وأعظم من جريمة إبليس لأن إبليس اعتقد أنه خير من آدم وهو من جنس غير جنس آدم ففرق كبير بين النار والطين في خصائصهما وتكوينهما ومع هذا أصبح إبليس من الكافرين ولكنه يقرر عجزه عن غواية وإضلال المخلصين من المؤمنين ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ والسياق يدل على أن مجرد الإيمان بوحدانية الله وربوبيته ووجوده لا يكفي ولا بد من اتباع ما أمر الله به ورسوله وأن النطق بالشهادتين مع العمل بمقتضاهما ضروري.

فإن احتج محتج بما روي أن النبي ﷺ: «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة».

يقال له: هذه كانت قبل نزول الفرائض، وقيل له هذه الشهادة إنما تنفع صاحبها إذا عمل بمقتضاها، ومن ذلك ألّا يكون من العنصريين الذين يفضلون أنفسهم ويخالفون بذلك المبدأ الذي قرره الإسلام في كثير من الآيات والأحاديث لأن من فرائضها ترك العنصرية البغيضة، وهذا قول علماء المسلمين ممن نعتهم الله عز وجل بالعلم وكانوا أئمة يقتدى بهم سوى المرجئة الذين خرجوا عن جملة ما عليه الصحابه والتابعون لهم بإحسان[1].

ثم يقرر سبحانه بأن إبليس وجميع من تبعه واعتقد اعتقاده وسلك مسلكه في التفاخر والتفاضل والعصيان سيكون مصيرهم ما ذكره سبحانه في هذه الآيات ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ * لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ جميع من تبع إبليس بدون استثناء ﴿قُلْ مَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ * إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ قل يا محمد لهؤلاء المتعالين المتفاخرين من مشركي قريش والعرب حيث كانوا يتفاخرون ويتفاضلون فيما بينهم حتى إنهم من شدة حرصهم على التفاضل

---

(١) انظر كتاب الشريعة للإمام أبي بكر الآجري ص١٠٢، وكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب غفر الله لهما فإن فيهما تفصيل ذلك.

والتفاخر والاستعلاء فيما بينهم أنهم كانوا يحكمون رؤساء العرب وحكماءهم في زمنهم ليقرروا أيهما الأفضل والأعز - قل لهم إني لا أريد منكم أجراً ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

نعم إنه ذكر للدنيا كلها وللبشر كلهم في أن يتوقفوا عن هذا العبث وهذا الضلال في التفاضل والتفاخر وأن عليهم أن يذكروا ويتذكروا دوماً جريمة إبليس وتفاضله على آدم وما أدت إليه من كفره ورجمه ولعنه وغضب الله عليه فاذكروا ذلك دوماً في كل وقت وحين في حياتكم الدنيا ولا تنسوه ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ ﴾[1] .

ومن ضمن المعاني لهذه الآية الكريمة أنه سيتبين ويتضح لبني الإنسان نتائج هذا التفاضل وهذا العلو وهذا الاستكبار بين بني البشر حيث سيقتل بعضهم بعضاً وبذلك يسفكون دماءهم في سبيل هذا الضلال وهذا الانحراف المنافي للفطرة والأخلاق والرحمة وأن عليهم أن يتوقفوا عن ذلك وإلا فمصيرهم واضح سفك دماء بعضهم بعضاً وانتشار الحقد والعداء والكره فيما بينهم وأنهم بهذا العمل وهذا الاعتقاد سيصبحون أذلة حقراء مشتتين متفرقين لا هيبة لهم ولا عقيدة تجمعهم كما قال سبحانه : ﴿ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ

---

(١) سورة ص الآية ٨٨.

فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾[١].

وهذا مصير كل متكبر وكل متفاضل يريد العلو والعزة على بني البشر في جنسه وعرقه.

وأما في الآخرة فمصيرهم معروف إن لم يتوبوا ويندموا على جرائمهم التي أدت بهم إلى هذا المصير.

ومن الآيات السابقة تتضح قضية هامة ويتبين حكم شرعي لاشبهة فيه وهو أن الله سبحانه وتعالى إنما غضب على إبليس ولعنه وأبعده من رحمته وجعله من الكافرين لأنه عصى أمر الله بعدم السجود لآدم لاعتقاده أنه خير منه في عنصره وجنسه ونوعه، فكيف الأمر بالنسبة للعنصريين من البشر في زماننا هذا وما حكمهم بالنسبة للشرع؟.

ألم يعصوا أمر الله الذي أكد وحدة الجنس البشري، وأن البشر كلهم من أصل واحد ومن أب وأم واحدة، وأن الله جعلهم شعوباً وقبائل للتعارف والتآلف والتحابّ وليس للتفاضل، ثم أكَّد أن أكرمهم عند الله أتقاهم، ونهاهم عن تزكية أنفسهم وعن الاستكبار في الأرض، ومع هذا فهم يصرون على أنهم الأفضل والأعز! أليس هذا عصياناً لأمر الله عز وجل، وإصراراً على مخالفته واستكباراً عن طاعة

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٣.

أوامره سبحانه.

ولم يكتف العنصريون بذلك، بل سفكوا الدماء وأزهقوا الأرواح في سبيل الاستعلاء والاستكبار، واحتقروا الآخرين واستهزؤوا بهم واستعلوا عليهم حتى مع من يؤمن بإيمانهم وينتسب لدينهم وعقيدتهم.

فليتدبر العنصريون ذلك وليتداركوا الأمر قبل فواته، وليعودوا لأمر الله ويتوبوا إليه، فوالله لا نريد إلا هدايتهم وعودتهم إلى دينهم وعقيدتهم.

العنصرية تزكية للنفس بالباطل

يقول سبحانه: ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴾[1].

ويقول سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۝٤٩ انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴾[2].

إنه العلم السابق على ظاهر أعمالهم، العلم المتعلق بحقيقتهم

---

(١) سورة النجم الآية ٣٢.

(٢) سورة النساء الآية ٤٩ـ٥٠.

الثابتة، التي لا يعلمونها هم، ولا يعرفها إلا الذي خلقهم، علمٌ كان وهو ينشيء أصلهم من الأرض وهم بعدُ في عالم الغيب، وكان وهم أجنةٌ في بطون أمهاتهم لم يروا النور بعد، علم الحقيقة قبل الظاهر، وبالطبيعة قبل العمل.

ومن كانت هذه حقيقة علمه يكون من اللغو - بل من سوء اللغو - أن يعرِّفه إنسانٌ بنفسه، وأن يعلِّمه سبحانه بحقيقته، وأن يثني على نفسه أمامه، يقول له: أنا كذا، وأنا كذا.

فما هو بحاجة إلى أن تدلُّوه على أنفسكم، ولا أن تزينوا له أعمالكم، فعنده العلم الكامل، وعنده الميزان الدقيق، وجزاؤه العدل، وقوله الفصل، وإليه يرجع الأمر كله.

فتزكية النفس ليست من صفات المؤمن حتى لو كان صادقاً، ولذلك نُهِيَ أن يمدح المسلم نفسه، بل يجب أن يتهم نفسه بالتقصير دائماً، وينسب الخطأ إلى نفسه، إذاً فما دام الله سبحانه وتعالى نهى عباده المؤمنين أن يزكوا أنفسهم حتى لو كان حقاً وصدقاً - أليس جديراً بالعنصريين ألا يزكوا أنفسهم بالباطل وبالكذب وبالافتراء على الله عندما يتفاضلون بنسبهم وجنسهم وعرقهم ولونهم وقبيلتهم -، وما الهدف الذي يسعون إليه من تفاضلهم هذا؟.

أليست البشرية كلها من مصدر واحد بدون استثناء تعود إلى آدم،

فكيف يكون لهم ميزة أو أفضلية في نسبهم أو جنسهم، المسألة كلها وهْم لا أساس له من العلم، ولا من الواقع، ولا حجة فيها، ولا دليل، ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ﴾[1] فلا حجة ولا علم ولا يقين، إنما هو الظن يقيمون عليه العقيدة الجديدة، عقيدة العنصرية وتفاضل الجنس والعرق، إنه الهوى، يستمدون منه الدليل وحب الظهور والتفاخر والتباهي، وإذا انتهى الأمر إلى شهوة النفس وهواها، فلن يستقيم أمر ولن يجدي هدى، لأن العلة هنا ليست خفاء الحق، ولا ضعف الدليل، إنما هو الهوى الجامح الذي يريد، ثم يبحث بعد ذلك عن مبرر لما يريد، وهي شر حالة تصاب بها النفس المغرورة فلا ينفعها الهدى ولا ينفعها الدليل.

قال أبو بكرة رضي الله عنه: مدح رجلٌ رجلاً عند النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «ويلك قطعت عنق صاحبك - مراراً -، إذا كان أحدكم مادحاً صاحبه لا محالةَ فليقل: أحسب فلاناً والله حسيبه، ولا أزكِّي على الله أحداً، أحسبه كذا وكذا، إن كان يعلم ذلك». رواه البخاري ومسلم[2].

---

(١) سورة النجم الآية ٢٣.

(٢) رواه أحمد ٥/ ٤٦ وهذا لفظه، والبخاري مع الفتح ٥/ ٢٧٤، ومسلم ٤/ ٢٢٩٦ وكلاهما بغير هذا اللفظ.

وجاء رجلٌ إلى عثمان فأثنى عليه في وجهه، فجعل المقداد بن الأسود يحثو في وجهه التراب ويقول : أمرنا رسول الله ﷺ إذا لقينا المدَّاحين أن نحثوا في وجوههم التراب . رواه مسلم.

كيف كان العرب قبل الإسلام

كانت بلاد العرب قبل الإسلام بلاداً فقيرة، لكل قبيلة صنم من الأصنام تعبده من دون الله، كان السلب والنهب سائداً في ذلك الحين: زنى وكذب وغش وخيانة، كانوا يتقاتلون على موارد المياه والمراعي، فلما أراد الله أن يحيي هذه الأمة، أرسل محمداً ﷺ فأخرجهم من الظلمات إلى النور .

يقول تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[1].

كان بعض الناس قبل الإسلام مثل الحيوان، لا يعرف الوضوء ولا الاستنجاء ولا التطهر ولا الغسل من الجنابة، ولا يقلم أظفاره، ولا يقص شاربه، ولا يحلق عانته وتحت إبطه، تماماً كما يفعل بعض الجهلة تشبهاً بالنصارى .

---

(١) سورة الجمعة الآية ٢.

كان الإنسان يقتل ابنته، ويزني ويشرب الخمر، ويأكل الربا، ويخون الأمانة، ويأكل أموال الناس بالباطل، ويقتل ويسفك الدماء ويظلم في سبيل العنصرية والقبلية، فعلمه الإسلام أن هناك جنة وناراً وحساباً وميزاناً وصراطاً، وعلمه آيات الله والحكمة، والرحمة والمحبة، والشفقة والمساواة بين البشر، والعدالة والأمانة، والنزاهة والإخلاص لهذا الدين، والدعوة إليه والجهاد في سبيله، حتى أخرج هذه الأمة العظيمة بعد بضع وعشرين سنة، الأمة الأولى جيل الصحابة الكرام، أفضل أمة، تلك الأمة التي طبقت ونفّذت أوامر الله ورسوله .

روى جبير بن حية الحديث الطويل في بعث النعمان بن مقرِّن رضي الله عنه إلى أهل الأهواز، وأنَّهم سألوه أن يخرج إليهم رجلاً، فأخرج المغيرة بن شعبة، فقال ترجمان القوم : ما أنتم ؟، فقال المغيرة: نحن ناس من العرب كنا في شقاء شديد وبلاء طويل، نمصُّ الجلد والنوى من الجوع، ونلبس الوبر والشعر، ونعبد الشجر والحجر، فبينما نحن كذلك إذ بعث رب السماوات ورب الأرض إلينا نبياً من أنفسنا نعرف أباه وأمه، فأمرنا نبينا رسول ربنا ﷺ أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده، أو تؤدوا الجزية، وأخبرنا أن من قُتِل منا صار إلى جنة ونعيم لم ير مثله قط، ومن بقي منا ملك

رقابكم[١].

بعض عادات العنصريين والقبليين وتقاليدهم في النسب وأسماء الأجداد

ومن سخافات القبليين والعرقيين من يقول : نحن نحفظ سلالتنا لمئات أو آلاف السنين ونعرف أسماء أجدادنا وتسلسلنا لآلاف الأسماء!.

فما قيمة هذا الهراء وهذا السخف، حتى لو كنتم حقيقة تعرفون أسماء المئات والآلاف من أجدادكم، فإن الكفرة والمشركين منهم في نار جهنم لا ينفعهم نسبهم وسلالتهم وأسماؤهم وعرقيتهم.

إن المؤرخين الثقات لم يحققوا إلا بنسب الأنبياء وخاتمهم سيد البشر محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليهم جميعًا، لأنهم أفضل البشر وخيرة خلقه[٢].

ما مميزات القبليين ؟

وبعض العنصريين يقول نحن أهل الأصل أو نحن الأصيلون بأجدادنا أو بعاداتنا أو بجنسنا المميز عن الآخرين، فإذا ناقشت عن معنى الأصل حار جوابًا فهو يردد كلمة الأصل

---

(١) حياة الصحابة (٣/ ٤٢٩).
(٢) انظر الهامش في ص ٩٦.

بدون أن يفقه ما يقول، وبعضهم يفسرها أنها العرق الذي لم يقع على أفراده أو بعضهم شيء من الرق أو العبودية، وآخرون يفسرونها على أنه الجنس الذي احتفظ بعرقيته وسلالته بدون أن يمتزج معه عرق غريب آخر، ورأي رابع يقول : إنه العرق الذي لم تحمل نساؤه الأولاد غير الشرعيين، وكلها ادعاءات باطلة .

المهم أن العنصريين يبررون تفوقهم أو تفاضلهم بالكذب والبهتان، وهم على كل حال بشر كبقية البشر في أجسامهم وألوانهم وأعضائهم، وكذلك في طبائعهم المختلفة، ولا يتميزون عن الآخرين بشيء، فهم يمرضون ويموتون كالبشر، كما أن دماءهم وألوانهم كبقية البشر، وليس كما يعتقد بعض الأوربيين من أن دماءهم زرقاء أو أن الدم المُلوكي يجري في عروقهم، فجاهلهم هو الجاهل، وفاسقهم هو الفاسق، ومشركهم هو المشرك، ومسلمهم هو المسلم.

وكان بعض العنصريين في الماضي يحتقرون بعض المهن كالحدادة والنجارة والجزارة وما شابه ذلك، وتسببوا نتيجة اعتقاداتهم في تأخير تقدم شعوبهم لمئات السنين، ولو كان لدى أجدادهم شيء من علم أو منطق لعلموا أن عباقرة النجارين والحدادين هم الذين شيدوا السفن الضخمة والقطارات والصواريخ والطائرات والمصانع وجميع الوسائل والأدوات المفيدة، ولو اقتدوا بالأنبياء والرسل لأقنعهم ذلك أيضاً، لأن النبي نوحاً عليه السلام كان نجاراً، وأمره الله ببناء

السفينة قبل الطوفان، وكذلك النبي داود عليه السلام حيث كان حداداً يعمل الدروع ويتصدق بأثمانها، والأمثلة على ذلك كثيرة .

عنصرية اليهود وأنهم أبناء الله

يقول الله سبحانه وتعالى عن اليهود : ﴿ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(١) .

قد افتخروا وتفاضلوا بأن النار لن تَمسَّ جنسهم وعروقهم وقبائلهم إلا أياماً معدودة، وهي الأيامُ التي عبدوا فيها العجلَ وهي أربعون يوماً، وتفاضلوا على الأمم الأخرى بذلك، فكَذَّبهم الله سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أي أنكم تكذبون وتفترونَ على الله سبحانه وتقولونَ ما لا تعلمون، لأن القانون الإلهي الذي وضعه الله لبني البشر جميعاً هو محاسبتُهم على قدرِ أعمالهم، كما قال سبحانه في الآيات التالية وهو يَرُدُّ عليهم : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾(٢) .

---

(١) سورة البقرة الآية ٨٠.

(٢) سورة البقرة الآية ٨١ـ٨٢.

وكما قال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾[1] .

والنقير: هي الثغرةُ التي في ظهرِ نواة التمر، والمعنى أن الإنسان سيحاسبُ على عمله مهما كان صغيراً أو كبيراً خيراً أو شراً.

وهكذا العنصريون بكافة أشكالهم وأنواعهم يزعمون كذباً وزوراً وافتراءً على الله أنهم الجنسُ الأفضل، والعنصر الأرقى والأحسن، وأنهم من الأصناف الأصيلة، ولذلك فهم أرقى وأفضل من الآخرين، أليس هذا تشابهاً مع خُلُقِ اليهود ؟ .

لقد أمرهم الله أن يقولوا للناس حسناً ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾[2]، أي قولوا كل شيءٍ يدعو للخلق الحسنِ، للحلمِ، للعفوِ، للطفِ، للمحبةِ، للأخوة الإيمانية، للتواصي بالخيرِ، للأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قال ﷺ: « لاتحقرنَّ من المعروف شيئاً، وإن لم تجِد فالْقَ أخاك بوجه طلْق ». أخرجه مسلم[3] .

---

(١) سورة النساء الآية ١٢٣، ١٢٤.

(٢) سورة البقرة الآية ٨٣.

(٣) أخرجه أحمد وهذا لفظه ٥/ ١٧٣، ومسلم ٤: ٢٠٢٦.

ولكن اليهود رفضوا وعصوا أوامر الله وفضلوا أنفسهم على الآخرين .

ويقول سبحانه مخاطباً اليهود : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾(١)

ولكنهم نقضوا العهد والميثاق فقتل بعضهم البعض، وسفكوا دماء بعضهم البعض، وأخرج بعضهم البعض من ديارهم بطردهم وتشتيتهم بالظلم والإثم والعدوان، وإذا نَتَجَ عن حروبهم التي تقع بين قبائلهم أسرى تفادوهم حسب حكم التوراة .

وقد حدث ذلك من قبائل اليهود عندما كانوا في المدينة المنورة قبل مبعث الرسول ﷺ، حيث كان هناك عدة قبائل من اليهود ، منهم: قبيلة قينقاع وقبيلة بني النضير وهم حلفاء الخزرج المشركين عباد

---

(١) سورة البقرة الآية ٨٤، ٨٥.

الأوثان، وقبيلة بني قريظة وكانوا حلفاء الأوس وكانوا من عباد الأوثان أيضاً، وذلك قبل اعتناق الخزرج والأوس للإسلام وتسميتهم بالأنصار.

فإذا تقاتلوا وقامت الحرب بينهم، قتل اليهود بعضهم البعض، وسفكوا دماءهم ونهبوا وسلبوا أموال بعضهم البعض، وشرَّدوا بعضهم البعض بإخراجهم من بيوتهم، إما بالقوة وإما خوفاً من الموت والحرب.

وهذا محرم عليهم في دينهم كما هو محرم في دين الإسلام، لأن الدين عند الله الإسلام، ولأن أصحاب الدين الواحد والملة الواحدة بمنزلة النفس الواحدة، وكانت العرب تعيِّر اليهود بذلك فيقولون لهم: كيف تقاتلون جنسكم من اليهود ثم تفادونهم، أي تدفعوا الفدية عن الأسرى منهم لإطلاق سراحهم؟، فيجيب اليهود بأنهم أمروا بحكم التوراة أن يفادوهم لأنه حرم عليهم قتالهم، وإذا سئلوا لم تقاتلونهم إذاً؟ أجابوا: بأننا نستحي أن نذل حلفاءنا، والحقيقة هي مصالحهم الذاتية والاقتصادية والدنيوية، ولهذا قال الله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا

﴿بِٱلْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ .

وهكذا يفعل العنصريون المسلمون اليوم نفس الشيء حَذوَ القُذَّةِ بالقُذَّة، يذبِّح بعضهم البعض، ويسفكون دماءهم، ويسلبون أموال بعضهم البعض، ويخرجون بعضهم البعض من بيوتهم وديارهم وبلادهم وقُراهم في سبيل العنصرية، عنصرية الجنس، والعرق، والقبيلة، كما قال سيد البشر باستثناء شيء واحد، وهو أن العنصريين المسلمين في هذا الزمن لايفادون أسراهم، بل في كثير من الأحيان يقتلونهم، ويسفكون دماءهم، حقداً وتشفياً وانتقاماً، أي أنهم زادوا على اليهود في بغيهم وطغيانهم وعنصريتهم، ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم .

لقد أصبح كثيرٌ من عنصريي اليوم قطعاناً من البهائم والحيوانات المفترسةِ المتوحشةِ، فنسوا دينهم وعقيدتهم، وأصبح همُّهم الأوحد الفوزَ أو النصر والتفوق على الآخرين بالباطل، في سبيل استعلاء القبيلة أو الجنس أو اللقب أو القومية، وكلها مبادىء عَفِنة قَذِرة، تؤدي لدمارهم وفنائهم وسخطِ الله عليهم في الدنيا والآخرة .

لقد طَغَى حُب الزعامة وحب السيطرة على زعمائهم، فأعمى بصيرتهم، فنسوا دينهم وعقيدتهم، ونفخَ الشيطانُ في رؤوسهم، فطغوا وتجبروا، ولاحول ولاقوة إلابالله العلي العظيم .

ووهبتها لزوجها إبراهيم لعل الله سبحانه يرزقه منها الولد، وهكذا كان.

فإذا أصر العنصريون والقبليون على عنصريتهم، فمعنى هذا أنهم يفضلون أنفسهم على أنبياء الله، ومنهم إسماعيل، لأن أمه جارية، فإن فهموا ذلك ثم استمروا في طغيانهم، فإن هذا يؤدي بهم إلى غضب الله وسخطه.

وقصة إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام تعتبر رادعًا وزاجرًا للعنصريين والقبليين العرب قبل غيرهم، لأن الكثيرين منهم يجهلون أن أصل أمهم جارية.

ومعنى ذلك أن هناك تناقضًا في عقيدة واعتقاد وتفكير العنصريين الذين يتفاضلون على الآخرين ممن كان أجدادهم أرقاء أو عبيدًا، إذ كيف يوفقون بين تفاضلهم على هؤلاء وبين قيام كثير من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالتسري بالفتيات الجواري، أليس هذا دليلاً على سخافة اعتقادهم وبطلان مذهبهم وفساد اتجاههم، لقد انقلبت الموازين في عقولهم فأصبح الخير عندهم شرًا والعدل ظلمًا والرحمة قسوة مما يدل حقيقة على أن إبليس قد انتصر عليهم وبال على رؤوسهم وأصبحوا من أتباعه وندمائه لأنه هو الذي ابتدع التفاضل والاستعلاء.

العنصريون في كل مكان، فهم يخدعون أتباعهم ويقنعونهم بأنهم على حق وأن الآخرين على باطل،حتى يتمكنوا من السيطرةِ عليهم وتسييرهم حسب ما يشتهون ويرغبون وما يزينه الشيطان لهم.

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾، يريدون أن يفخروا بذلك وأن يتميزوا عن البشر، لأن بادِّعائهم أنهم أبناء الله وأحباؤه فإن الله لن يعذبهم بذنوبهم، ولن يدخلوا النارَ إلاأياماً معدودة، ومعنى هذا أن عدل الله لايجري مجراه، وأنه سبحانه يُحابي فريقاً من عباده فيدعهم يفسدون في الأرض بتفاخرهم وتفاضلهم وبآثامهم وجرائمهم، ثم لا يعذبهم عذاب المفسدين الآخرين، فأي فساد في الحياة يمكن أن ينشأ عن مثل هذا التصور، وأي اضطراب في الحياة يمكن أن ينشئه مثل هذا الانحراف.

وهنا يضرب الإسلام ضربته الحاسمة على هذا الفساد في التصور كل ما يمكن أن ينشئه من الفساد في الحياة، ويقرر عدل الله الذي لا يحابى، كما يقرر بطلان هذا الادعاء.

﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴾.

ذلك يقرر الحقيقةَ الحاسمة في عقيدةِ الإيمان، يقرر بطلان ادِّعاء البُنُوَّة، فهم بشرٌ ممن خلق، يقرر عدل الله وقيام المغفرة والعذاب عنده

على أصلها الواحد على مشيئته التي تقرر الغفران أو العذاب، لا بسبب بنوَّة أو صلة شخصية.

عالمية الإسلام منذ العهد الأول

لقد جمعت هذه العقيدة منذ أيامها الأولى صهيباً الرومي الذي عاش بين الروم، وبلالاً الحبشي وسلمان الفارسي وأبا بكر العربي القرشي تحت راية: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وانتهت العصبية القبلية والجنس والأرض وقال سيد البشر ﷺ: «ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية»[1].

وهكذا ماتت نصرة الجنس، وانتهت العنصرية بكافة أشكالها وألوانها، ومنذ ذلك الحين لم يعد وطن المسلم هو الأرض فحسب، وانما وطنه هو دار الإسلام، وهي كل أرض وكل بلد وكل مدينة في أنحاء هذه الدنيا يمكنه أن يطبق فيها أحكام دينه.

المسلمون يتبرؤون من آبائهم وأبنائهم وأقربائهم المشركين ويقاتلون من حارب الله ورسوله منهم

وعلى هذا الأساس: فإن المسلم يتبرأ من أبيه وأمه، وأخيه وابنه

---

(١) رواه أبو داود ٥/ ٣٤٢.

إذا كانوا مشركين أو كافرين يتبرأ من كفرهم وقد يصاحبهم بمعروف طمعًا في هدايدتهم.

والله سبحانه وتعالى قد بين ذلك في كثير من الآيات، فقد تبرأ النبي إبراهيم عليه السلام من كفر أبيه، لأنه أصر على عبادة الأصنام، وتبرأ النبي نوح من زوجته وابنه لأنهما أصرا على الكفر، وتبرأت آسية امرأة فرعون المؤمنة من زوجها فرعون.

أما في عهد نبينا محمد ﷺ فكما جاء في كلام المقداد بن الأسود قال جبير بن نفير: جلسنا إلى المقداد بن الأسود يومًا فمرَّ به رجل فقال للمقداد: طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله ﷺ! والله لوددنا أنا رأينا ما رأيتْ وشهدنا ما شهدت! فاستُغْضِب، فجعلت أعجب ما قال إلا خيرًا! ثم أقبل عليه فقال:

ما يحمل أحدكم على أن يتمنى محضرًا غيَّبه الله عز وجل؟ لا يدري لو شهده كيف كان يكون فيه! والله لقد حضر رسول الله ﷺ أقوامٌ كبَّهم الله على مناخرهم في جهنم لم يجيبوه ولم يصدقوه. أَوَلا تحمدون الله عز وجل إذ أخرجكم لا تعرفون إلا ربكم مصدقين بما جاء به نبيكم ﷺ، قد كُفيتم البلاء بغيركم؟.

والله لقد بُعث النبي ﷺ على أشد حال بُعث عليه نبي من الأنبياء قطُّ في فترة وجاهلية، ما يرون أن دينًا

بفرقان فَرَق به بين الحق والباطل، وفرَّق به بين الوالد وولده، حتى إن الرجل ليرى والده أو ولده أو أخاه كافراً، وقد فتح الله تعالى قفْل قلبه للإيمان، وليعلم أنه قد هلك من دخل النار، فلا تقر عينه وهو يعلم أن حميمه في النار، وأنها لَلَّتي قال الله عز وجل: ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾(١).

ولذلك، فإنهم في غزوة بدر الكبرى حاربوا بقيادة الرسول ﷺ قريشاً وقاتلوا آباءهم وأبناءهم وإخوانهم وأقرباءهم لأنهم كانوا مشركين، ولهذا مدحهم الله سبحانه وتعالى في كتابه فقال سبحانه: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾(٢).

المؤمنون من عهد آدم إلى قيام الساعة أمة واحدة

والمسلم بإيمانه بجميع أنبياء الله ورسله يؤمن أيضاً بأن جميع هؤلاء الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً هم من خيرة

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ١/ ١٧٥، والآية من سورة الفرقان ٧٤.
(٢) سورة الفتح الآية ٢٩.

البشر لأن الله سبحانه وتعالى اختارهم لرسالته، كذلك فإن الفئات المؤمنة التي آمنت بأنبيائها واتبعت ما أنزل إليهم وطبقت تعاليمهم - باستثناء المشركين وأهل الكتاب الذين حرفوا الكتب السماوية ولم يؤمنوا برسالة سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ - وذلك ابتداءً من أول الأنبياء والرسل حتى خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم هم إخواننا وأحباؤنا مهما كان جنسهم وألوانهم وشعوبهم .

وقد ورد في القرآن الكريم وفي الأحاديث القدسية كثير من قصص أتباعهم، وأخبارهم، وجهادهم وتضحياتهم، لنقتدي بهم ونقتفي آثارهم، ونتبع هداهم، بل إن القرآن والسنة ذكرا كثيراً من آياتهم الباهرة التي منحها الله سبحانه وتعالى لهم، نتيجة إيمانهم ويقينهم، مع أنهم ليسوا بأنبياء، وكذلك وردت كثير من أخبار الفئات المنحرفة والضالة من جميع أنواع البشر تحذيراً لنا من أن نعمل مثلهم أو أن نقتدي بهم .

ذلك لأن الدين واحد وهو الإسلام، وجميع الأنبياء من عهد آدم إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً دعوا الناس إلى الإسلام . يقول ﷺ في الحديث الصحيح : « أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لِعَلاَّت ـ

أي: إخوة لأب ـ: أمهاتهم شتى ودينهم واحد »[1]، وهذا الدين هو دين الإسلام الذي لايقبل الله ديناً غيره لامن الأولين ولامن الآخرين، فإن جميع الأنبياء على دين الإسلام.

قال الله تعالى عن نوح: ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[2].

وقال عن إبراهيم: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ۖ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[3].

---

(١) البخاري مع الفتح ٦/ ٤٧٨.
(٢) سورة يونس الآية ٧١، ٧٢.
(٣) سورة البقرة الآية ١٣٠ـ١٣٣.

وقال عن موسى : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾(١) .

وقال في خبر المسيح : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾(٢) .

وقال عن بلقيس إنها قالت : ﴿ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(٣) .

ويقول سبحانه : ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾(٤) .

ولو تدبر العنصريون والقبليون والعرقيون والشعوبيون القرآن العظيم حق تدبره، لعلموا أن جميع الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً، لم يقف في وجوههم ويعارضهم في دعوتهم إلا العتاة وأدعياء الزعامة من قومهم وقبائلهم وشعوبهم، لقد وقف كل

---

(١) سورة يونس الآية ٨٤.
(٢) سورة المائدة الآية ١١١.
(٣) سورة النمل الآية ٤٤.
(٤) سورة الشورى الآية ١٣.

قوم ضد نبيهم، وضد دعوته إلى الدين الحق، وآذوه، بل إن البعض قُتلوا من قبل كفار قومهم، وهم يريدون الخير والسعادة لهم، مما نتج عن ذلك غضب الله عليهم، ودمارهم وفناؤهم، نتيجة كفرهم بالدين الحق.

والآيات السابقة تؤكد أن المؤمنين الذين آمنوا بأنبياء الله ورسله جميعاً حتى خاتمهم محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً هم أمة واحدة، ونحن المسلمين من أمة محمد ﷺ ملزمون بحبهم واحترامهم، كما أننا ملزمون بالإيمان بأنبيائهم، والكتب المنزلة معهم، بل نحن ملزمون بالاقتداء بهؤلاء المؤمنين في كثير من قصصهم وأعمالهم التي أخبرنا بها نبينا محمد ﷺ مما لا يتعارض مع آخر الشرائع السماوية[1].

يقول سبحانه مخاطباً المؤمنين من أمة محمد ﷺ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[2].

---

(١) انظر تقريب الوصول إلى علم الأصول لابن جزي تحقيق الدكتور محمد المختار الشنقيطي ص٢٨٢.

(٢) سورة البقرة الآية ١٣٦.

فـإذا كـان هـؤلاء العنصريـون يصرون على أفضليتهـم، وعلى أن عرقهم وعنصرهم هو الأفضل، رغم أنهم مسلمون يؤمنون بدين الإسلام - ولا يشك أحد في ذلك - فما هو موقفهم من جميع هؤلاء الأنبياء الذين هم سادة البشر، وأفضل البشر، وأتقى البشر، وأهدى البشر لأن الله اختارهم لرسالته وأمناء على وحيه، لهداية العباد إلى طريق الحق والخير والمحبة ؟ ولأن هؤلاء الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم هم من أجناس مختلفة، وشعوب متنوعة، وقبائل متعددة، ومن أماكن متفرقة في أنحاء الكرة الأرضية، وألوانهم مختلفة كذلك؟!.

فإذا أصر العنصريون على عنصريتهم وأفضليتهم وأصالتهم على الأجناس الأخرى، فإن ذلك سيشمل الأنبياء والرسل جميعاً بطريق مباشر أو غير مباشر، فإذا علموا ذلك وفهموه ومع هذا أصروا على طغيانهم وضلالهم، فإن هذا سيؤدي بهم إلى إثم عظيم.

ولنضرب مثلاً بالنبي الكريم أبي الأنبياء إبراهيم وابنه النبي الكريم إسماعيل صلوات الله وسلامه عليهما، حتى يظهر الحق جلياً أمام العنصريين بكافة أشكالهم، وإليكم القصة ملخصة.

قصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام[١]:

عندما وصل إبراهيم - ومعه ابنة عمه المؤمنة سارة - إلى مصر، وكان بها ملك جبار، وكانت سارة زوجة إبراهيم من أحسن الناس، فلما وصفت للملك الجبار أرسل إلى إبراهيم وقال له: ماهذه المرأة التي معك؟ قال: هي أختي، وتخوف إبراهيم إن قال هي امرأتي أن يقتله عنها، فقال لإبراهيم زينها ثم أرسلها إليَّ، فأرسلها.

فأقبلت حتى دخلت عليه، فلما أراد أن يتناولها بيده، يبست يده إلى صدره، فلما رأى ذلك الملك أعظم أمرها، وقال: ادعي الله أن يطلق يدي فوالله لا أَريبك ولأُحسن إليك، فقالت: اللهم إن كان صادقاً فأطلق يده، فأطلق الله يده، وردها إلى إبراهيم ووهب لها

---

(١) هو أفضل الأنبياء بعد نبينا محمد ﷺ كما جزم به الحافظ عماد الدين ابن كثير في تاريخه، وروى البزار واللفظ له والإمام أحمد والحاكم بسند على شرط مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: خيار بني آدم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، وخيرهم محمد ثم إبراهيم صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً. واختلف في مولد إبراهيم عليه السلام فقيل بِبَرْزَة من غوطة دمشق. قال الحافظ أبو القاسم ابن عساكر رحمه الله والصحيح أنه ولد بكوثا من إقليم بابل من أرض العراق وكان يتكلم السريانية أولاً وإنما نطق بالعبرانية حين عبر النهر فاراً من نمرود. «سبل الهدى والرشاد» ج١ص٣٠٧.

هاجر جارية قبطيةً كانت له .

وكانت هاجر ذات هيئة ، فوهبتها سارة لإبراهيم وقالت : إني أراها امرأةً وضيئةً فخذها لعل الله يرزقك منها ولداً ، وكانت سارة منعت الولد فلم تلد لإبراهيم حتى أسنت ، وكان إبراهيم قد دعا الله أن يهب له من الصالحين ، وأُخرت الدعوة حتى كبر إبراهيم ، وعقمت سارة .

ثم إن هاجر ولدت إسماعيل عليهما السلام ، ثم خرج بهما إلى مكة حتى وضعهما قرب البيت - الآن - ، وأراد العودة ، فقالت له هاجر : يا إبراهيم إلى من تَكِلُنا ؟ فقال : إلى الله . فقالت : انطلق فإنه لايضيعنا .

ثم كان من أمرهما ما كان وأخرج الله لهما ماء زمزم ، ومرت قافلة من قبائل جُرْهم تريد الشام ، فشاهدوا الماء ، واستأذنوا أم إسماعيل أن ينزلوا معها ، فأذنت لهم وتزوج إسماعيل منهم ، وحضر أبوه ، وَبَنَيا البيت كما أمرهما الله .

ونَبَّأ الله عز وجل إسماعيل - أي جعله نبياً - ، وبعثه للعماليق وقبائل اليمن يدعوهم إلى الإسلام ، ومن أبناء إسماعيل : نابت وَقيدر نشر الله منهما العرب وخاصة عرب الحجاز .

ومن هنا نعلم أن أم إسماعيل عليهما السلام كانت جارية مملوكة للملك الجبار ، ثم أعطيت لسارة زوجة إبراهيم عليهما السلام ،

ووهبتها لزوجها إبراهيم لعل الله سبحانه يرزقه منها الولد، وهكذا كان .

فإذا أصر العنصريون والقبليون على عنصريتهم، فمعنى هذا أنهم يفضلون أنفسهم على أنبياء الله، ومنهم إسماعيل، لأن أمه جارية، فإن فهموا ذلك ثم استمروا في طغيانهم، فإن هذا يؤدي بهم إلى غضب الله وسخطه .

وقصة إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام تعتبر رادعاً وزاجراً للعنصرين والقبليين العرب قبل، غيرهم لأن الكثير منهم يجهلون أن أصل أمهم جارية

ومعنى ذلك أن هناك تناقضاً في عقيدة واعتقاد وتفكير العنصريين الذين يتفاضلون على الآخرين ممن كان أجدادهم أرقاء أو عبيداً، إذ كيف يوفقون بين تفاضلهم على هؤلاء وبين قيام كثير من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالتسري بالفتيات الجواري، أليس هذا دليلاً على سخافة اعتقادهم وبطلان مذهبهم وفساد اتجاههم، لقد انقلبت الموازين في عقولهم فأصبح الخير عندهم شراً والعدل ظلماً والرحمة قسوة مما يدل حقيقة على أن إبليس قد انتصر عليهم وبال على رؤوسهم وأصبحوا من أتباعه وندمائه لأنه هو الذي ابتدع التفاضل والاستعلاء.

والقصة تشير وتؤكد على أن الجارية أو العبد قد يكونان أفضل وأكرم من كثير من الأحرار عند الله سبحانه وأعظم منزلة ومكانة، وأكثر صلاحاً وتقوى .

ثم إن إبراهيم عليه السلام أنجب ابنه الثاني إسحاق وإسحاق أنجب يعقوب الذي يعرف أيضاً بإسرائيل وإليهما ينتسب أسباط بني إسرائيل ومنهم كثير من الأنبياء .

فإبراهيم عليه السلام كان له ولدان اصطفاهما الله بالنبوة، وهما إسماعيل وإسحاق، فإسماعيل هو جد محمد عليه الصلاة والسلام، أما إسحاق وابنه يعقوب الذي يعرف بإسرائيل فإليه ينتسب سائر أسباط بني إسرائيل ومنهم كثير من الأنبياء ختموا بعيسى بن مريم عليه السلام .

وقد أشار القرآن الكريم إلى أُبوة إبراهيم للأنبياء الذين جاؤوا بعده، قال تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1] .

---

(١) سورة الأنعام الآية ٨٤ـ٨٦ .

وإبراهيم عليه السلام هو الذي سمانا المسلمين من قبل فالله سبحانه وتعالى يقول في القرآن الكريم : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ﴾(١) .

فهل اقتنعتم الآن أن عنصريتكم وعرقيتكم وقبليتكم وشعوبيتكم في منتهى الانحطاط ، وفي منتهى الحقارة .

هل تريدون أن تتفاضلوا على أنبياء الله ورسله .

هل تريدون أن تتفاضلوا على سيد البشر وخاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ .

سارعوا بالتوبة إلى الله ، وتوقفوا عن هذا العبث وهذا الجهل الذي يؤدي إلى دمار وتفكك المسلمين في كل مكان ، وإلى غضب الله عليكم وسخطه ، ولاحول ولاقوة إلابالله العلي العظيم .

العبر والأحكام التى نستنبطها من قصة إبراهيم عليه السلام

من الدلائل التي نستنبطها من القصة مايأتي :

أولاً : عدم احتقار شخصية المملوكين من النساء والرجال بحكم الإسلام وأن لهم قيمتهم الإنسانيه كالآخرين ، بل تزداد عن الأحرار إذا كان صلاحهم وتقواهم وأخلاقهم أفضل من غيرهم من الأحرار ،

---

(١) سورة الحج الآية ٧٨ .

وإذا كان المملوك مسلماً فهو أخ للمسلم بلاشك[١].

ثانياً: لاشك أن قيام الأنبياء من عهد إبراهيم الخليل عليه السلام إلى داود وسليمان[٢] وغيرهم حتى خاتم الانبياء والمرسلين سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً بالتسرى من الفتيات المملوكات والإنجاب منهن كان بقضاء الله سبحانه ورضاه، لتكون قاعدة ثابتة راسخة للمؤمنين في كل زمان ومكان، ليقوموا بالاقتداء بأنبيائهم، والتسري بهذه الفئات، والإنجاب منهن اتباعاً لهذا المنهج العظيم والطريق المستقيم في احترام هذه الفئات، إلى درجة أن يوصى سيد البشر نبي هذه الأمة بأهل مصر خيراً لأن لهم صلة ورحماً، وذلك بسبب تسريه بمارية عليها السلام، والتي أهديت إليه

---

(١) ومنها قصة سلمان الفارسي رضي الله عنه كما وردت في السيرة عندما أمره رسول الله ﷺ أن يكاتب مالكه اليهودي ليعتقه فكاتبه على ثلاثمائة نخلة وأربعين أوقية من الذهب فقال رسول الله ﷺ: «أعينوا أخاكم» فأعانوه حتى جمعها. راجع سيرة ابن هشام.

(٢) قال رسول الله ﷺ: قال سليمان عليه السلام: لأطوفن اليوم على تسعين امرأة وفي رواية مائة امرأة كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله. فقال له الملك: قل إن شاء الله فلم يقل ونسي فطاف عليهن فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل. والذي نفس محمد بيده لو قال: إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون. متفق عليه.

من المقوقس حاكم مصر في ذلك الحين وإنجابه منها إبراهيم عليه السلام.

لقد بَّت القرآن في هذا الأمر، وقرر أن الزواج من الفتاة المؤمنة أفضل من الزواج من غيرها، يقول سبحانه: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[1].

قال السدي: نزلت في عبد الله بن رواحة، كانت له أمة سوداء فغضب عليها فلطمها ثم فزع، فأتى رسول الله ﷺ فأخبره خبرها فقال له: «ماهي؟» قال: تصوم وتصلي وتحسن الوضوء وتشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فقال ﷺ: يا أبا عبد الله هذه مؤمنة، فقال: والذي بعثك بالحق لأعتقها ولأتزوجها، ففعل، فطعن عليه ناس من المسلمين وقالوا: نكح أمته، فأنزل الله هذه الآية.

ويقول سبحانه: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ وهي

---

(١) البقرة ٢٢١.

تشمل تزويج الإماء والعبيد إلى السادات والأحرار من المؤمنين[١].

ويقول تبارك وتعالى في كتابه العزيز: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ [النساء: ٢٥].

إن السخرية من قبل أي إنسان مسلم تجاه أية فئة من الفئات التي يعتقد أن أجدادها أو البعض منهم كانوا أرقاء أو عبيدًا، والتفاضل عليهم محرم تحريمًا قاطعًا ويرتكب صاحبها إثمًا عظيمًا، خاصة إذا علم حكم الإسلام في ذلك.

لقد أصبح التسري من هؤلاء الفتيات والإنجاب منهن في النظام الإسلامي سنة من سنن سيد البشر، ولذا فإن أغلب الصابة رضي الله عنهم طبقوا هذه السنة، وكذلك المؤمنون ومنهم الإمام المحدث أحمد بن حنبل رحمه الله. كما أن الفقهاء قد أكدوا أن عجز حكمي سببه الكفر، وليس نقصًا بشريًا.

ورغم هذه الأدلة الباهرة الواحضة تقوم فئة ضالة منحرفة من هؤلاء العنصريين فتتفاضل بجنسها على كل من يشتبه أن أحد أجداده وقع عليه رق، أو مر بمرحلة رق، وقد يكون بعضهم من العلماء الصالحين، فيقوم بالتفاضل أو الافتخار أو

(١) النور: ٣٢.

الاستعلاء عليهم، لاعتقاده أنه هو وأجداده أفضل، لأنه لم يمر عليهم مرحلة رق.

إن هذه الفئة العنصرية الضالة لا تريد أن تفهم أو تدرك أنها بعملها هذا ترتكب أكبر جريمة وأعظم إثم قد تصل إلى درجة الكفر، خاصة إذا أدركت حكم الإسلام وسنن الأنبياء وخاتمهم صلوات الله وسلامه عليهم جميعًا ولنز الأمر توضيحًا ونوسعه شرحًا، لأن العنصريين مشهورون بالغباء الشديد لأن الضلال أعمى أبصارهم، وران على قلوبهم فهم لا يفقهون ولا يتدبرون، وهم مملوؤن بعقائد وتقاليد تحتاج إلى زمن لإخراجها من رؤسسهم لذلك فلنوجه إليهم الأسئلة التالية لعل الله سبحانه وتعالى يهديهم إلى طريق الحق:

هل يحق لكم أيها العنصريون أن تسخروا أو تتفاضلوا على أبي الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام لأنه تسرى بجاريته هاجر التي وُهبت له من زوجته سارة؟.

أم تريدون أن تتفاضلوا على ابنه النبي الكريم إسماعيل جد نبينا خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم جميعًا لأن أمه عليها السلام كانت جارية؟.

أم تريدون أن تتفاضلوا على سيد البشر خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ لأنه من سلالة النبي الكريم إسماعيل أو لأنه تزوج من مارية عليها السلام والتي أهديت

له من المقوقس حاكم مصر في ذلك الزمن؟

أو لأنه تزوج من صفية أم المؤمنين رضي الله عنها بعد أن أعتقها حيث كانت من قبيلة قريظة إحدى قبائل اليهود[١].

أتريدون أن تتفاضلوا على إبراهيم عليه السلام ابن سيدنا محمد ﷺ من مارية رضي الله عنها لأن أمه جارية؟.

فإن فعلتم فقد استهزأتم بأنبياء الله وكفرتم، وإن تفاضلتم على من اقتدى بسنة رسول الله قد طعنتم بسنته وبؤتم بالإثم العظيم واقتديتم باليهود المغضوب عليهم.

إن هذه الفئة العنصرية الواهمة في غاية الغباء والجهل، والانحطاط الفكري والخلقي وهي تعمل بعلم أو بجهل على دمار الأمة وتفككها، ونشر العداء والحقد بين المسلمين في أنحاء الأرض، ولا بد للمؤمنين والدعاة من هذه الأمة في كل بلد تدارك ذلك وتفهمه، وشرح ذلك لهذه الفئات المنحرفة قبل فوات الأوان، ويجب أن تأخذ العبرة مما حدث ويحدث في الصومال والأفغان وتشاد ومناطق كثيرة في آسيا وأفريقيا، ومسلمي الاتحاد السوفيتي ومسلمي الألبان في أوروبا وغيرهم.

---

(١) راجع قصة غدرهم في كتب السيرة.

ثالثاً: إن المملوكين أصلهم في الحقيقه أحرار، وليس لهم ذنب فيما حدث لهم ولم يرتكبوا جريمة توجب ذلك.

وكل ما في الأمر أن نظام الحروب في العصور الماضيه قبل الإسلام كانت تطبق نظام الرق الجائر الظالم فجاء الاسلام ووضع نظاماً خاصاً بالرق في غاية الرحمة[1]، محاولاً القضاء على هذا النظام المنافي للإنسانيه والرحمة والذي كان متبعاً ومطبقاً من قِبَل الكفار والمشركين سواء كانوا من المشركين العرب أو النصارى أو اليهود أو غيرهم، وبموجب النظام الاسلامي عاش الأرقاء مطمئنين لا يخشون ظلماً أو بطشاً من أحد، ولهذا فإن الكثيرين منهم ممن تربوا وعاشوا لدى الفئات المؤمنة كان لهم شأن عظيم في المجتمع الإسلامي، وأصبح منهم الفقهاء والعلماء، وتفوق الكثيرون منهم في مختلف الفنون، بل إن من الفتيان الشباب المملوكين من أصبح من القادة العظام وبيده مقاليد الدولة الإسلامية أمثال القائد المظفر قطز والقائد القوي بيبرس اللذين قادا الجيش الإسلامي في أول معركة فاصلة حدثت بين المسلمين وبين التتار المشركين، وتمكنا بفضل من الله من سحق الجيش التتري بأكمله، وذلك بتشجيع عالم عصره العالم الجليل الفذ المجاهد العز بن عبد السلام.

---

(١) راجع فصل عنصرية الرق والاسترقاق في الكتاب الأساسي.

ومن القادة الكبار المملوكين مؤنس، وجوهر وكافور الإخشيدي[١]، وسبكتكين في بلاد الأفغان[٢].

وفي عهد العباسيين نجد عبداً يتولى إمارة مصر، وهو يحيى بن داود الخرسى الذى ولى الأمارة من سنة ١٦٢ - ١٦٤[٣].

ومنهم محمود الغزنوي.

ولم يكن لدى المسلمين أية عنصرية في الجنس أو اللون سواء كانوا مملوكين أو أحراراً، ويكفينا أن الرسول الأعظم ﷺ قام بخدمة وفد الحبشه بنفسه تكريماً لهم وأهدى النجاشي ملك الحبشة جبة السندس، وورد عن الرسول قوله: «سادة السودان أربعة: لقمان الحبشي، والنجاشي، وبلال ومهجع»[٤].

---

(١) كان أسود اللون حبشياً اشتراه الإخشيد بثمانية عشر ديناراً ثم أصبح عنده من كبار القواد، ولما مات الإخشيد ثم ولده آل الأمر إلى كافور في سنة خمس وخمسين وثلاثمائة فاستقل بملك مصر سنتين وأربعة أشهر، وكان ذكياً له نظر في العربية والأدب والعلم. انظر وفيات الأعيان ٤: ٩٩، والسير ١٦: ١٩٠ وغيرها.

(٢) انظر تاريخه الكبير وفتوحاته العظيمة في الطبري والبداية والنهاية.

(٣) آدم لنز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع عشر ١: ٣٣١.

(٤) أخرجه ابن عساكر مرسلاً، مختصر تاريخ دمشق ٥: ٢٦١، وأخرجه الحاكم ٣: ٢٨٤ عن واثلة بن الإسقع وقال: صحيح الإسناد.

وعن عكرمة عن ابن عباس: كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً[١].

وعن سعيد بن المسيب: أن لقمان كان أسود من سودان مصر ذا مشافر أعطاه الله الحكمة ومنعه النبوة[٢].

وعن عكرمة قال: كان لقمان نبياً[٣].

وعن ليث قال: كانت حكمة لقمان نبوة[٤].

حدثنا مالك أنه بلغه: أنه قيل للقمان الحكيم مابلغ بك مايرى؟ قال مالك: يريد الفضل - قال لقمان: صدق الحديث وأداء الامانة، وترك مالا يعنيني[٥].

وعن عمرو بن قيس أن رجلاً مر بلقمان والناس عنده فقال: ألست عبد بنى فلان؟ قال: بلى قال: فما الذى بلغ بك ما أرى؟ فذكره، لكن قال: وطول السكوت عما لايعنينى.

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب المملوكين، وأخرجه ابن جرير ٢١: ٦٧.

(٢) ابن جرير ٢١: ٦٧، والدر المنثور ٥: ١٦١.

(٣) عزاه في الدر المنثور ٥: ١٦١-١٦٢ لابن أبي حاتم، ولابن جرير، وهو في تفسير ابن جرير ٢١: ٧٨.

(٤) الدر المنثور ٥: ١٦٢، وعزاه لابن أبي حاتم.

(٥) الموطأ رواية أبي مصعب الزهري ٢: ١٦٩(٢٠٨٧).

ومنهم أم أيمن حاضنة النبي ﷺ ومولاته واسمها بركه وكنيت بابنها أيمن، قال النووى في تهذيبه كانت وصيفة حبشية لأبي النبي ﷺ فلما توفيت أمه حضنته حتى كبر، فأعتقها وأنكحها زيد بن حارثة، وكان ﷺ يزورها ويقول: أم أيمن أمي بعد أمي[١].

ومنهم عطاء بن أبى رباح عالم مكة المكرمة في عصره قال محمد بن سعد: كان ثقة فقيهاً عالماً كثير الحديث، وكان أسود، أعور، أفطس، أشل، أعرج، ثم عمي بعد ذلك، قال ابن عباس يا أهل مكه تجتمعون عليَّ وعندكم عطاء. ولما قدم ابن عمر مكة وسألوه، فقال: تجمعون لى يا أهل مكة المسائل وفيكم ابن أبى رباح، وقال ربيعة: فاق عطاء أهل مكه في الفتوى وكان بنو أمية يأمرون في الحج صائحاً: لا يفتي إلا عطاء بن أبي رباح، فإن لم يكن فعبد الله بن أبي نجيح[٢].

وقال الأصمعي: دخل عطاء على عبدالملك بن مروان أيام حجه في خلافته فلما بصر به قام إليه وأجلسه معه على السرير وقعد بين يديه وقال له: يا أبا محمد حاجتك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، اتق الله في حرم الله وحرم رسوله فتعاهده بالعمارة، واتق الله في أولاد المهاجرين

---

(١) أخرجه ابن أبي خيثمة في معرفة الصحابة، انظر الإصابة ٨:٢١٢-١١٣٩، وكنز العمال ١٢:١٤٦.

(٢) رفع شان الحبشان للسيوطي.

والأنصار فإنك بهم جلست هذا المجلس، واتق الله في أهل الثغور فإنهم حصن المسلمين فإنك وحدك المسؤول عنهم، واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم، ولا تغلق بابك دونهم، فقال له: أفعل، ثم نهض فقبض عليّه عبد الملك فقال: يا أبا محمد، إنما سألتنا حوائج غيرك وقد قضيناها، فما حاجتك؟ فقال: مالي إلى مخلوق حاجة، ثم خرج فقال عبد الملك: هذا وأبيك الشرف، هذا وأبيك السؤدد[1].

ومنهم الصحابي شقران مولى رسول الله ﷺ الذي وضع القطيفة تحت رسول الله ﷺ في القبر[1].

ومنهم الأسود الحبشي الذي فاضت نفسه من خشية الله عندما قال للرسول ﷺ: يارسول الله وهل ترى عيني في الجنة ما ترى عينك ؟ فقال النبي ﷺ: نعم، فبكى الحبشي حتى فاضت نفسه، قال ابن عمر: فأنا رأيت النبي ﷺ يدليه في حفرته[1].

وقال الإمام السيوطي رحمه الله تعالى في كتابه «أزهار العروش»: روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾

---

(١) راجع فصل الرق في الكتاب الأساسي فإن فيه تفصيلاً أكثر.

عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨] أنه قال: بعث الله حبشيًا نبيًا فهو ممن لم يقصص على محمد.

وأخرج ابن حاتم أيضًا في تفسير سورة البروج بسنده عن جابر عن عبدالله بن جي عن علي رضي الله عنه أنه قال: كان نبي أصحاب الأخدود حبشيًا[1].

وقد أحصى ابن الجوزي الأولاد الذين نجبتهم قريش فقط من الجواري أكثر من ثلاثة وثلاثين، ومنهم من يعود نسبه إلى كبار الصحابة.

ومن ضمنهم الحسين بن علي رضي الله عنهما الذي تسرى بابنة يزدجرد ملك الفرس في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث وهبها له تقديراً منه للحسين رضي الله عنه وإكرامًا لابنة ملك الفرس رحمة وشفقة بها، وكان نتيجة هذا التسري إنجابه لولده علي بن الحسين قال ابن خلكان: كانت أم سلمة بنت يزدجرد آخر ملوك الفرس، وذكر الزمخشري في ربيع الأبرار أن يزدجرد كان له ثلاث بنات سبين في زمن عمر بن الخطاب فحصلت واحدة لعبدالله بن عمر فأولدها سالمًا، والأخرى لمحمد بن أبي بكر الصديق فأولدها

(١) الجواهر الحسان ص ٩٤.

القاسم، والأخرى للحسين بن علي فأولدها علياً زين العابدين فكلهم بنو خالة[١].

وقال الأصمعي: لم يكن للحسين عقب إلا من علي بن الحسين فقال له مروان بن الحكم - أي قال لعلي بن الحسين - : لو اتخذت السراري يكثر أولادك فقال : ليس لي ما أتسرى به، فأقرضه مائة ألف فاشترى له السراري فولدت له وكثر نسله وجميع الحسينين من نسله وذكروا أنه زوج أمه بعد مقتل أبيه رضي الله عنهما من مولاه زبيد، وأعتق أمة - جارية مملوكة - وتزوجها فأرسل إليه عبد الملك يلومه في ذلك فكتب إليه ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[٢]. وقد أعتق ﷺ صفية فتزوجها، وزوج مولاه زيد بن حارثة من بنت عمته زينب بنت جحش[٣].

وكان علي بن الحسين رحمه الله إذا دخل المسجد تخطى الناس حتى يجلس في حلقة زيد بن أسلم، فقال له نافع بن جبير بن مطعم: غفر الله لك، أنت سيد قريش تأتي تتخطى حلق أهل العلم وقريش حتى تجلس مع هذا العبد الأسود؟ فقال له علي بن الحسين: إنما يجلس

---

(١) البداية والنهاية ج٩ ص١٢٢ دار إحياء التراث.
(٢) الأحزاب / ٢١.
(٣) البداية والنهاية ج٩ ص١٢٢.

الرجل حيث ينتفع وإن العلم يطلب حيث كان[١].

وروى البزار في مسنده من حديث عطاء بن يسار عن سلمان سمعت رسول الله ﷺ يقول: من اتخذ من الخدم غير ما ينكح ثم بغين فعليه آثامهن من غير أن ينقص من آثامهن شيئاً[٢].

وبالإسناد الماضى إلى الإمام أحمد عن على بن أبي طالب قال: أمر النبى ﷺ أن آتيه بطبق يكتب فيه مالا تضل أمته من بعده، قال: فخشيت أن تفوتنى نفسه، قلت: إني أحفظ وأعي، قال: أوصي بالصلاة والزكاة وما ملكت أيمانكم[٣].

وعن علي أيضاً وعن أنس بن مالك قال: كان لرسول الله ﷺ موليان: حبشي وقبطي، فاستبّا يوماً فقال أحدهما: ياحبشي، وقال الآخر: ياقبطي، فقال رسول الله ﷺ: لا تقولوا هكذا، إنما أنتما رجلان من آل محمد صلى الله عليه وعلى آله[٤].

---

(١) البداية والنهاية ج٩ ص١٢٤.

(٢) قال الهيثمي ٤:٢٩٨ عطاء عن سلمان لم يدركه. وفيه من لم أعرفه.

(٣) أخرجه أحمد ١:٩١، وابن ماجه ٥١٩(١٦٢٥) عن أم سلمة و٢:٩٠٠ (٢٦٩٧) عن أنس، وهما في المسند ٦:٢٩٠و٣:١١٧ وفيه ١:٧٨ عن علي أيضاً.

(٤) المعجم الصغير ١:٣٤٥(٥٧٣)، والأوسط كما في مجمع البحرين ١:٢٧٧(٣٢٦) انظر كتاب رفع شأن الحبشان للسيوطي ص٤٧.

وعن سالم أن شاعراً مدح بلال بن عبدالله - بن عمر - رضي الله عنهم فقال :

بلال بن عبدالله خيرُ بلال(١)

فقال عمر : كذبت، بل بلال رسول الله خيرُ بلال.

لمن يكون ولاء المسلم :

قال الله تعالى : ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

قال أهل العلم في سبب نزولها : إنها نزلت في أبي عبيدة عامر بن الجراح حين قتل أباه عبدالله بن الجراح يوم بدر، وفي أبي بكر الصديق حين دعا ابنه للمبارزة يوم بدر، وفي عمر حين قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر، وفي علي وحمزة حين قتلا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر.

---

(١) سنن ابن ماجه المقدمة فضائل بلال ١ : ٥٤ (١٥٢).

وهذه الآية تفصل بين حزب الله وحزب الكفر والشرك، وأن المؤمن يجب عليه أن ينحاز إلى الصف المسلم متجرداً من كل اعتبار، فلا نسب ولا صهر، ولا أهل ولا قرابة، ولا وطن ولا جنس، ولا عصبية ولا قومية.

إنما هي العقيدة! من وقف تحتها فهو في حزب الله، ومن استحوذ عليه الشيطان فوقف تحت راية الباطل فلن تربطه بأحد من حزب الله رابطة! وفي سورة التوبة يأتي الأمر الأخير بالمفاصلة، وأن القضية قضية إيمان وكفر وليست قضية جزئية أو ثانوية.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[1].

قال القرطبي في تفسير هذه الآية: إنها باقية الحكم إلى يوم القيامة في قطع الولاية بين المؤمنين والكافرين، وقال ابن عباس رضي الله

---

(١) سورة التوبة الآية ٢٣، ٢٤.

عنهما في قوله تعالى : ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [التوبة: ٢٣] : هو مشرك مثلهم لأن من رضي بالشرك فهو مشرك.

وهذه الآيات العظيمة بينت أن الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة والأموال والتجارة والمساكن - ميع متع الحياة ولذائذها في كفَّة، وفي الكفة الأخرى حب الله ورسوله وحب الجهاد في سَبيله، الجهاد بكل مقتضياته وبكل مشتقاته وما يتبعه من نصب وتعب، ومن ضيق وحرمان، وألم وتضحية، واستشهاد، والدعوة إلى الله، كل ذلك مجردًا من الصيت والذكر، والظهور والمباهاة والفخر والرياء.

وهكذا قامت دولة الإسلام الأولى، وأصبحت الأخوة الإيمانية هي الرابطة الحقيقية المفضلة لمن آمن بهذا الدين، والبراءة من كل قريب لا يؤمن بالله ورسوله ولو كان أبًا أو أخًا أو زوجًا أو ابنًا، وافتخروا بالانتماء لهذا الدين العظيم الذي هو سبب العزة والرفعة والسيادة حتى فتحوا الشرق والغرب.

أما الإحسان إلى الوالدين وبرُّهما وهما كافران فهذا لابد منه بشرط عدم إطاعتهما في معصية الله سبحانه.

ولا ننسى أصحاب الكهف الذين ذكرهم الله في القرآن حيث فارقوا أهلهم وعشيرتهم ووطنهم بسبب شرك أولئك، ودخلوا الكهف لعبادة الله وحده، لأنه لا طاقة لهم بمواجهة قومهم.

قتل المشركين الأقارب إذا قاتلونا

جاء في كتاب مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب تأليف أبي الفرج ابن الجوزي : أنه بينما عمر بن الخطاب جالس في المسجد يوماً إذ مر به سعيد بن العاص بن هشام، فسلم عليه، فقال عمر : إني والله ياابن أخي ما قتلت أباك يوم بدر، ولكني قتلت خالي العاص بن هشام، وما بي أن أكون أعتذر من قتل مشرك ! قال : فقال سعيد بن العاص : لو كنتَ قتلتَه كنتَ على حق، وكان على باطل .

وفي رواية أخرى : قال عمر : أما أبوك فقد مررت به وهو يبحث بحث الثور فَحِدْتُ عنه وقصد له ابن عمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقتله .

انظر ما أعظم الإيمان في قلوب هؤلاء الرجال ! إن عمر رضي الله عنه يجهر ويفتخر بقتل خاله شقيق أمه لأنه مشرك ! وكذلك الرجل المؤمن سعيد بن العاص يعلن أيضاً أنه حتى لو قتل عمر أباه العاص فإن ذلك حق، وأن أباه المشرك على باطل ! إنه الإيمان .

قال ابن إسحاق عمن حدثه عن الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص أنه كان يقول : والله ما حرصت على قتل رجل قط كحرصي على قتل عتبة بن أبي وقاص - أخيه من أبيه وأمه - وإنه كان ما علمتُ لسيءَ الخلق مُبَغَّضاً في قومه، ولقد كفاني منه قول رسول الله ﷺ

«اشتد غضب الله على من دَمَّى وجه رسوله»[١].

انظر إنه يتمنى لو أنه قتل أخاه من أبيه وأمه، لأنه كان عدواً لله ولرسوله! هؤلاء أصحاب الإيمان حقاً!!.

العنصريون والأنداد

يقول الله سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[٢].

قد يغضبُ العنصريون لأن هذه الآيات الكريمة فيها تشبيه لهم بالمشركين، وبيان موقف المتبوعين من التابعين لهم وأن الجميع في النار، وأنا والله لا أعتبرهم كذلك، بل هم إخوةٌ لنا، إلا إذا أصروا على ضلالهم واستكبارهم وعصيانهم لأوامر الله سبحانه وتعالى، لأننا نؤمنُ بأن عنصريتهم تحدث عن جهل بالدين وعدم معرفتهم

---

(١) سيرة ابن هشام ٣: ٣٥.

(٢) سورة البقرة الآية ١٦٥ـ١٦٧.

للإسلام، بالإضافة لغسل عقولهم وتضليلهم من قبل رؤسائهم وزعمائهم، سواء كانوا زعماءَ قبائل أو غيرَ ذلك، لقد أقنعوهم بالعمل للطاغوت، والقتال في سبيلِ الشيطان .

لقد عادت الجاهلية الأولى أقوى مما كانت عليه قبل الإسلام، وأخطر بكثير، لقد كان العنصريون قبل الإسلام يسفكون دماءهم وهم مشركون، بينما العنصريّون الآن يسفكون دماءهم وهم مسلمون، أو يدَّعون أنهم مسلمون .

مئاتُ القبائلِ والأجناس والعروق من المسلمين تتقاتل وتسفك دماءها ليس لإقامة حكم الله، وليس لتطبيق الإسلام، وليس لمنع الظلم وإحقاق الحق، بل تقاتل بهدف انتصار القبيلة على قبيلةٍ أخرى وإذلالها وإفنائها وإبادتها، في سبيل الهوى، وفي سبيل الشيطان، وفي سبيل الجنس والعِرْقِ .

القتال في سبيل سيطرة القبيلة على الحكم أو على الدولة أو على سلطات أكبر أو مناصب أرفع وأعلا .

القتال في سبيل تمكين زعيم القبيلة أو زعمائها من السيطرة على البلاد وعلى مقاليد الأمور .

لقد خُدِعَ هؤلاء المساكين المغفلون من قِبَلِ رؤسائهم ومشايخهم بأن القتال في سبيل قبيلتهم وعرقِهم وجنسهم هو طريق الحق .

والسؤال الي يجب أن نوجهه للعنصريين في كل مكان :

هل هم يقاتلون حبًا في الله، أم حبًا في القبيلة، والزعامة، والحكم.

هل هم يقاتلون ويسفكون الدماء طمعًا في فوز القبيلة وسيطرة القبيلة وسيطرة الجنس والعرق، أم طمعًا في تطبيق الإسلام والحكم بالإسلام، والأخوة الإيمانية، والمحبة والود للمؤمنين جميعًا.

هل هم يقاتلون في سبيل تثبيت زعمائهم وقادتهم الذين خُدعوا بهم ضد زعماء كفرة ومشركين.

يجب أن يعدُّوا الجوابَ ليوم الحساب، ويتخذوا الاحتياطات لئلا يتبرأ زعماؤهم ورؤسائهم منهم في ذلك الموقف العظيم، لأن المؤمنَ يضحي بنفسه وبماله وبروحه في سبيل الله، وليس في سبيل قبيلته أو جنسه أو عرقه أو بلده أو عَلَمه أو قومه أو عشيرته أو زعمائه ورؤسائه، وصدق الله العظيم حيث يقول سبحانه : ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاْ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٧، ٦٨].

القرآن الكريم يقرن المفاخرة والتفاضل مع الكفر

يقول سبحانه : ﴿ ۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۙ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾[1] .

بعد أن ذكر سبحانه المشركين المستكبرين عن مجالسة الضعفاء والمساكين من المسلمين، وافتخارهم عليهم بأموالهم وأحسابهم وجنسهم وعرقهم وأصلهم .

ضرب مثلاً برجلين جعل الله لأحدهما جنتين أي بستانين من أعناب محفوفين بالنخل - أي حول الجنتين - وكان الثمر في غايةِ الجودةِ والنضج، ولهذا قال سبحانه : ﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ﴾، والأنهار متفرقة هنا وهناك، فقال لصاحبه وهو يحاوره مفتخراً عليه : ﴿ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ أي أكثر منك مالاً وثروةً، ﴿ وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ بمعنى أنه أفضل قبيلة وأكثر عددا وأعلى

---

(١) سورة الكهف الآية ٣٢-٣٦.

جنسا وعرقا ومقاما، لأنه ينتسب لسلالة عزيزة رفيعة راقية، ولهذا وبسبب هذا الشعور وهذا التفاخر وهذا التفاضل في الثروة والجنس، والقبيلة والعرق والأصل دخل جنته وهو ظالم لنفسه، ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾ نتيجة تكبره وتجبره وتفاضله بعائلته وقبيلته، وبسبب ارتكابه لجريمة التفاضل والتفاخر بأنه هو وسلالته الأفضل والأعز، وغيره الذليل أصبح ظالما لنفسه، أي ارتكب جريمة بحق نفسه، ثم أدى به هذا الانحراف وهذا الاعتقاد إلى الكفر فقال : ﴿ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً ﴾، والملاحظ أن الله سبحانه ذكر تكبره وتفاخره وتفاضله بالمال وبسلالته وجماعته من قبيلته أو عرقيته قبل نكرانه لقيام الساعة، مما يدل على خطورة التفاضل والتفاخر على الآخرين بالثروة وبالحَسَب والسلالة والقبيلة، وكبر إثمهما وعظم جريمتهما، لقد بدأ بالافتخار والتفاضل على صاحبه بماله وعشيرته وقبيلته، وذلك بقوله : ﴿ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ ثم أدّى هذا التفاضل والتفاخر إلى الكفر وإلى نكران قيام الساعة، فهو لم يقاتل صاحبه ولم يشتمه ولم يسفك دمه بل افتخر وتفاضل عليه بقوله : ﴿ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ فأدى ذلك إلى جحوده باليوم الآخر وكفره .

والعنصريون اليوم لا يفتخرون فقط بمالهم وبسلالتهم وعشيرتهم

وبجنسهم وقبائلهم وشعوبيتهم وقوميتهم بل يزيدون على ذلك بسفك دم إخوانهم في الدين والعقيدة .

عنصرية أبي جهل تمنعه من اعتناق الإسلام

يقول سبحانه في سورة الدخان : ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴾[1] .

جاء في تفسيرها عند ابن كثير وغيره : أن الله سبحانه يخبر عما يعذب به الكافرين من أن شجرة الزقوم طعام الأثيم - أي الكافر - وقيل : إنه أبوجهل، ويدخل غيره من الكفار بالطبع، إلى قوله : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ .

قال الأموي في « مغازيه »[2]: لقي رسول الله ﷺ أبا جهل لعنه الله، فقال: « إن الله تعالى أمرني أن أقول لك : ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾، قال : فنزع ثوبه من يده وقال : ما تستطيع لي أنت ولا صاحبك من شيء، ولقد علمتَ أني أمنعُ أهلَ البطحاء، وأنا العزيز

---

(١) سورة الدخان الآية ٤٣-٥٠ .

(٢) راجع تفسير ابن كثير ٤/ ٢٢٢ .

الكريم، قال : فقتله الله تعالى يوم بدر وأذله وعيره بكلمته وأنزل : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ أي تقول له الزبانية في جهنم ذلك على وجه التهكم والتقريع، أي لست بعزيزٍ ولا كريم، ولهذا قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴾ .

عكرمة بن أبي جهل يحدث عن أبيه المشرك

والطريف أن قصة التقاء رسول الله ﷺ مع أبي جهل وهو من زعماء مشركي قريش - والتي ذكرت آنفاً - وردت على لسان ابنه عكرمة رضي الله عنه بعد إسلامه، وأصبح من كبار المجاهدين، وقتل شهيداً في الفتوحات الإسلامية باليرموك، على عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري أنه حدَّث أن أبا سفيان بن حرب، وأبا جهل بن هشام، والأخنس بن شريق، خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلي من الليل في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه، وكلٌّ لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق، فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً، ثم انصرفوا .

حتى إذا كانت الليلة الثانية، عاد كل رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا

يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة، ثم انصرفوا .

حتى إذا كانت الليلة الثالثة، أخذ كل رجل منهم مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض : لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود، فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا، فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال :

أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد، فقال :

يا أبا ثعلبة، والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها !

قال الأخنس : وأنا والذي حلفت به كذلك .

قال: ثم خرج من عنده حتى أتى أباجهل فدخل عليه بيته، فقال: يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : ماذا سمعت ! تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أَطعَموا فأَطعَمنا، وحملوا فحَمَلنا، وأَعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الركب، وكنا كفَرَسي رِهان، قالوا: منا نبيٌّ يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندركِ مثل هذا؟ والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه، قال : فقام عنه الأخنس

وتركه[١].

لقد منعته عنصريته وكبرياؤه أن يؤمن برسالة محمد ﷺ، لأنه لايريد أن تتفوق قبيلة عبد مناف على قبيلته وفخذه بالنبوة فتتفوق عليه وعلى عشيرته بالشرف والفخر، إنه يريد أن تتعادلا، وتتوازيا الشرف على الأقل، ولهذا رفض الإيمان برسالة محمد كبراً وعنصريةً وعصبيةً، مع أنه يعرف في قرارة نفسه صدق نبوته ﷺ.

قصة أبي لهب المشرك

أبو لهب هو أحد أعمام الرسول ﷺ، واسمه : عبد العزَّى بن عبد المطلب، وكنيته أبو عتبة، وإنما سمِّي أبا لهب لجمال وجهه، وكان كثير الأذية لرسول الله ﷺ، والبغضة له، والازدراء به، والتنقص له ولدينه، وعندما كان النبي ﷺ يدعو بقوله : « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » والناس مجتمعون عليه، كان أبو لهب لعنه الله يلحق به ويقف وراءه، ويقول : إنه صابىء كاذب، ويتبعه حيث ذهب[٢].

وكان أبو لهب يقول : إن كان ما يقوله ابن أخي حقاً، فإني أفتدي نفسي يوم القيامة من العذاب بمالي وولدي ! فأنزل الله : ﴿ مَآ أَغۡنَىٰ

---

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٣٣٧ـ٣٣٨.

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٤/ ٩٠٠، ومسند أحمد ٤/ ٣٤١

عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ يعني ولده، وقوله تعالى : ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ أي ذات شرر ولهب وإحراق شديد، ﴿ وَٱمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴾ وكانت من سادات نساء قريش، واسمُها أروى بنت حرب بن أمية، أخت أبي سفيان، وكانت عوناً لزوجها على كفره وعناده، ولهذا تكون يوم القيامة عوناً عليه في عذابه في نار جهنم، ولهذا قال تعالى: ﴿ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾.

وعن سعيد بن المسيب : أنه كان لها قلادة فاخرة، فقالت : لأنفقنَّها في عداوة محمد، فأعقبها الله منها حبلاً من مسد في النار .

وقال بعض أهل العلم في قوله تعالى: ﴿ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ أي في عنقها حبلٌ من نارٍ تُرفع به إلى شفيرها ثم تُرمى إلى أسفلها، ثم كذلك دائماً .

قال العلماء : وفي هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة، فإنه منذ نزل قوله تعالى : ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ فأخبرَ عنهما بالشقاء وعدم الإيمان، لم يقيض لهما أن يؤمنا ولا واحداً منهما، لا باطناً ولا ظاهراً ولا مُسراً ولا مُعْلناً، فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة الباطنة على النبوة الظاهرة[1].

---

(١) تفسير ابن كثير، سورة المسد.

العلاقة بين الأقرباء يوم القيامة

يقول سبحانه : ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾[1] .

قال المفسرون: يراهم ويفر منهم ويبتعد عنهم، لأن الهول عظيم، والخطب جليل، وفي الحديث الصحيح في أمر الشفاعة، أنه إذا طُلِبَ إلى كل من أُولي العزم أن يشفع عند الله في الخلائق يقول : نفسي نفسي، لاأسألك اليوم إلا نفسي، حتى إن عيسى ابن مريم عليه السلام يقول: لا أسأله اليوم إلا نفسي، لا أسأله مريم التي ولدتني[2] .

وليس معنى هذا أن لا يهتم الإنسان بعائلته وأقربائه أثناء حياته، فإن الإسلام جعل لهم حقاً عظيماً، والمسلم مكلفٌ بالاهتمام بأهله وأقربائه وقومه وكافة المؤمنين، وعليه مساعدتهم وإكرامهم ومنع الظلم عنهم وتوجيههم إلى طريق الحق والفضيلة، والصدقة على فقرائهم أفضل من الصدقة على غيرهم، ولكن المسلم مسئول أيضاً عن منعهم عن الظلم وأكل أموال الناس بالباطل، ومنعهم عن الاستكبار والترفع والتفاضل على إخوانهم المسلمين، من أي نوع أو

---

(١) سورة عبس الآية ٣٤ـ٣٧.

(٢) مقتبس من تفسير ابن كثير سورة عبس.

جنس كانوا، وكذلك عدم الاعتداء عليهم أو سفلك دمائهم أو الإساءة إليهم، كذلك تَعليمُهُم وإرشادهم وتفقيههم في دين الله ليكونوا قدوةً صالحين.

وعنصرية اليوم بين المسلمين يعود سببها ومسؤوليتها على الآباء والأمهات بدرجة كبيرة، لأنهم شجَّعوا أبناءهم على هذا الضلال، ولم يقوموا بواجبهم حيال تعليمهم وإرشادهم.

المؤمن الأنصاري يطالب الرسول ﷺ بأن يسمح له بقتل أبيه المنافق

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

قال المفسرون وأهل السير: إن هذه الآية نزلت بحق رئيس المنافقين بالمدينة على عهد رسول الله ﷺ عبدالله بن أُبي ابنُ سَلول، وكان أهل المدينة أجمعوا على أن يجعلوه ملكًا عليهم قبل إسلامهم، وبدأوا ينظمون له تاجًا ليتوجوه عليهم، إلا أن اعتناقهم للإسلام أوقفَ ذلك.

وفي أسباب نزول هذه الآية قصة وردت في كتب السيرة وفي التفاسير نوجزها بالآتي :

بعد الانتهاء من غزوة بني المصطلق بقيادة رسول الله ﷺ، وانهزام بني المصطلق وقتل من قُتل منهم، وبينما الرسول ﷺ على ماء لهم، تزاحم أجير لعمر بن الخطاب يقال له جهجاه بن مسعود من بني غفار وكان يقود فرساً له، تزاحم مع سنان ابن وبَر الجهني حليف بني عوف بن الخزرج على الماء، فاقتتلا فصرخ الجهني : يا معشر الأنصار وصرخ جهجاه : يا معشر المهاجرين، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال : « ما بال دعوى الجاهلية » قالوا يا رسول الله : كَسَع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال ﷺ : « دعوها فإنها منتنة » ![1].

أي : أن طلب النصرة والعون على أساس العنصرية والعصبية لإحداث الفتنة أو الظلم أو العدوان عمل منتن، أي عفِن قذِر، وأن هذا عمل جاهلي يتنافى مع طبيعة المسلم وخلقه، فسمع بذلك عبدالله ابن أبيّ ابن سلول رئيس المنافقين - أي سمع ما حدث بين المهاجري والأنصاري - فقال لجماعته : أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فسمع الصحابي زيد بن أرقم ماقاله المنافق وهو من قبيلة المنافق ولكنه من المؤمنين، فذكر ذلك لعمه سعد بن عبادة وهو

---

(١) البداية والنهاية ٤/١٥٨، ١٥٩، والفتح ٨/٦٤٨، ٦٤٩.

رأس الخزرج، أو لعمر، فذكره للنبي ﷺ.

وأرسل رسول الله ﷺ إلى عبدالله بن أبي ابن سلول وأصحابه، فحلف ما قال ذلك، فصدقه، فأنزل الله سبحانه وتعالى تصديق ما قاله زيد بن أرقم.

وشاع في المعسكر أن رسول الله ﷺ سيقتل عبد الله بن أبيّ ابن سلول، وعلم ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبيّ ماكان من أمر أبيه، فأتى إلى الرسول ﷺ وقال: يارسول الله بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلاً فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ماكان لها من رجل أبر بوالده مني، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبدالله ابن أبي يمشي في الناس فأقتلَه فأقتلَ رجلاً مؤمناً بكافر، فأدخلَ النار!.

فقال رسول الله ﷺ: «بل نترفق به ونحسن صحبته مابقي معنا».

وفي رواية أخرى أنه استأذن الرسول ﷺ في قتل أبيه فنهاه وقال له: «لا، ولكن برَّ أباك وأحسنْ صحبته»[1].

وعندما اقتربوا من المدينة وقف هذا الشاب المؤمن على باب المدينة واستل سيفه فجعل الناس يمرّون عليه، فلما جاء أبوه المنافق قال له

---

(١) انظر مجمع الزوائد ١/ ١١٤.

ابنه: وراءك، أي: قف مكانك، فقال له أبوه المنافق: مالك ويلك؟ فقال ابنه: والله لا تجوز من هاهنا حتى يأذن لك رسول الله ﷺ - أي لن تدخل المدينة إلا بإذن رسول الله ﷺ - وعندما وصل الرسول ﷺ، وكان إنما يسيّر ساقةً -أي يسير خلف الجيش تواضعاً ولا يدع أحداً يمشي خلفه- شكا إليه المنافقُ ابنَه المؤمن، فقال الابن: والله يا رسول الله لا يدخلها حتى تأذن له، فأذن له رسول الله ﷺ، فقال الابن: أما إذا أذن لك رسول الله فجز الآن[1].

فانظر كيف يكون الولاء لله ولرسوله، لا لقبيلة ولا لغيرها من الأنساب والأسباب.

الانتصار على شيطان العنصرية البغيض

هكذا إذا فمن أراد أن يدخل في هذا الدين، ويؤمن بهذا الدين ويطبق هذا الدين، ويكون مسلماً حقاً، في حياته، وعلاقاته بالآخرين فعليه أن ينزع من نفسه ومن أعماقه ظاهراً وباطناً كافة الامتيازات الطبقية وأدنى شعور بالحسب والنسب، والرفعة والسمو، والأفضلية على كافة بني البشر، عليه أن يترك التفاخر وحب الاستعلاء على الآخرين، وأن يعود إلى حالته الطبيعية التي

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/ ٢٩١-٢٩٢.

خلقه الله عليها: عبداً مطيعاً لله، مستسلماً لأوامره ونواهيه وأحكامه.

وهكذا ماتت العصبيات الجاهلية القائمة على أساس النسب والدم والعرق واللون والوطن واللغة، واعتبر العودة إليها أو إحياؤها أو الهتاف بها أو التفاخر على أساسها: رذيلة وإفساداً وجريمة وانحطاطاً وإثماً كبيراً، ورجعة إلى الجاهلية، ودماراً للمجتمع المسلم والأمة الإسلامية جمعاء، قال تعالى: ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾[1].

أولياء رسول الله هم المتقون يوم القيامة

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: « إن أوليائي يوم القيامة: المتقون، وإن كان نسب أقرب من نسب، فلا يأتيني الناس بالأعمال وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم فتقولون: يامحمد، فأقول: هكذا وهكذا؛ لا » وأعرض في كِلا عِطْفيه. رواه البخاري في الأدب المفرد.

وعن ابن عباس قال: لاأرى أحداً يعمل بهذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾ حتى بلغ: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ

---

(١) سورة الفتح الآية ٢٦.

أَتْقَىٰكُمْ ﴾ فيقول الرجل للرجل : أنا أكرم منك ! فليس أحد أكرم من أحد إلا بتقوى الله . الأدب المفرد .

وعن ابن عباس قال : ماتعدون الكرم ؟ قد بين الله الكرم، فأكرَمُكُم عند الله أتقاكم، ماتعدون الحسب ؟ أفضلُكم حسباً أحسنُكم خُلُقاً . الأدب المفرد .

شياطين اليهود يحاولون إثارة العنصرية بين الصحابة

يقول الله سبحانه وتعالى للمؤمنين : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[1] .

وسبب نزول هذه الآية عند أهل العلم، كابن جرير وغيره : أن الأوس والخزرج أنصارَ رسول الله ﷺ كانوا قد تآخوا وتآلفوا وتحابُّوا بعد اعتناقهم الإسلام، حتى أصبحوا أعظم من إخوة الآباء والأمهات، فغاظ اليهود الذين كانوا يسكنون معهم هذا الإخاء وهذه المحبة وهذا التآلف والتماسك، فأتى يهودي مجرم اسمه ابن شاس من يهود المدينة، فدخل على الأوس والخزرج وهم في المسجد

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٣ .

فقال لهم: أنسيتم حروب الجاهلية! أنسيتم أيها الأوس مقتلة الخزرج فيكم! ونسيتم أيها الخزرج مقتلة الأوس فيكم! حتى أشعل الفتنة بينهم، وذكرهم بأحقادهم وعداوتهم القديمة، وحروبهم السابقة فيما بينهم وقتلهم لبعضهم البعض قبل إسلامهم ودخولهم في دين الله، فنسوا الإسلام ونسوا لا إله إلا الله.

وكان الرسول ﷺ في بيته، فقام شاب من الخزرج وسلَّ سيفه وقال: يااللطيمة، يااللطيمة، وقام أوسي فتواعدوا إلى الحرة خارج المدينة، وخرجت القبيلتان يقطر الموت من سيوفهم، لأن القبائل والأسر يوم تنسى لا إله إلا الله، ورسالة الإسلام، وأوامر الرسول عليه الصلاة والسلام، ويوم تنسى الحب الذي أنزله الله في كتابه، ويوم تنسى الجنة والنار والصراط والميزان، تصبح أمة كأنها قطيع من البهائم في الغابة ؟!! ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾[1].

وتهيأوا للقتال وسمع رسول الله ﷺ بخبرهم، فخرج من بيته وهو يقول: «حسبي الله لاإله إلاهو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم» ويقول أهل العلم خرج بلا حذاء، حافياً يجر إزاره ووقف بين الصفين والسيوف قد سلت والموت الأحمر يتقاطر من رؤوس السيوف وقال:

---

(١) سورة الفرقان الآية ٤٤.

«ياأيها الناس : أما كنتم ضُلاَّلاً فهداكم الله بي ؟ أما كنتم متفرقين فجمعكم الله بي ؟ أما كنتم متحاربين فآخى بينكم الله بي ؟ » قالوا : بلى يارسول الله، قالَ : « ألست فيكم ؟ » قالوا : بلى، قال : « أما نزل الوحي علي وأنا بين أظهركم ؟ » قالوا : بلى، قال : « فما هذا ؟ » فوضعوا السيوف على التراب وقالوا : نستغفر الله، ثم أقبلوا يتباكون ثم تعانقوا وأخذ بعضهم يبكي وهو يعانق أخاه، فأنزل الله سبحانه وتعالى أول الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ ﴾ أي : كيف تقتتلون ؟ كيف تتناحرون ؟ كيف تتباغضون ؟ كيف تتقاطعون ؟ كيف تسري فيكم الفتنة ؟ ﴿ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ﴾ أليس فيكم القرآن ؟ أليست فيكم الرسالة الخالدة ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[1].

كيف تعتصم بالله : أن تتوجه للكتاب والسنة، أن تخلص قلبك لله، أن تطهر قلبك وعينيك وسمعك ويديك ورجليك لتكون عبداً لله.

* * * * *

(١) سيرة ابن هشام ٢/٥٥٦، وراجع الدر المنثور ٢/٢٧٨-٢٧٩. والآيتين من سورة آل عمران ١٠٠-١٠١.

الفصل الثاني
ماذا قال سيد البشر عن العنصرية البغيضة

احتقار الإسلام لكل من نادى بالعنصرية والقبلية

لقد اهتم الإسلام بمحاربة العنصرية بكافة أشكالها وألوانها ، بل أمر باحتقار وإهانة كل من نادى أو تمسك بها ، قال عليه الصلاة والسلام : « من تَعَزَّى بعزاء الجاهلية فأَعِضُّوه بِهَنِ أبيه ولاتكْنوا »[1].

ومعنى الحديث : أنه من افتخر بأبيه أو قومه أو عائلته ، وكل من استعان بجماعته وأقربائه وقبيلته وشعبه وسلالته ليعينوه على باطل ، أو الاعتداء على الغير ، أو نهب مال الغير ، أو إحداث ظلم مهما كان صغيراً ، ضدَّ أي فرد مسلم فقولوا له صراحة وبدون تكنية أُعْضُضْ أير أبيك ، أي : مادمت تفتخر بأبيك أو بحسبك ، أو بقبيلتك ، لأن أباك كان وكان ، وهو بشر كبقية البشر ، لايتميز عن البشر بشيء فاعضض أير أبيك .

---

(١) رواه أحمد ٥/ ١٣٦ ، والنسائي في الكبرى ٥/ ٢٧٢ ، وانظر أيضا الأحاديث الصحيحة للألباني (٢٦٩).

وذلك ليكون علاجاً ودواء لذلك الشخص الذي يصر على أنه الأفضل في جنسه، أو قبيلته، لعل الله يهديه ويعود إلى رشده ويتوقف عن هذا العبث الذي يفرق بين المسلمين .

وعن أبي بن كعب أنه سمع رجلاً يقول : ياآل فلان ، فقال له : اعضُض بِهَنِ أبيك ، ولم يُكَنِّ . فقيل له : يا أبا المنذر ما كنت فحّاشاً؟ ! فقال رضي الله عنه : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : (وذكر الحديث) .

وقد ورد أن عجر بن مدراع التميمي قال لقومه من بني تميم : ياآل تميم! فقال له كعب : أَعضَّك الله بهنِ أبيك .

وقد عمل بهذا الحديث الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : من اعتز بالقبائل فأَعضّوه أو فأَمِصّوه[1] .

اعتقادات محرمة لدى بعض المسلمين نتيجة الجهل بحكم الإسلام

وليس هدفنا من ذكر هذا الحديث إهانة أحد ، أو احتقار أحد ، بل الهدف هو إيضاح حكم الإسلام في هذا الانحراف البغيض ، لأننا واثقون بأن أكثر العنصريين يجهلون ذلك ، بل إن كثيراً من

---

(١) الأحاديث الصحيحة للألباني رقم ٢٦٩ .

المسلمين وحتى بعض من ينتسب إلى العلم في بعض البلاد الإسلامية يعتقد جهلاً منه أن الإسلام لايحتقر العنصرية ولا يحاربها ولايحرمها ! وذلك لأنهم اعتادوا على مستوى معين بين البشر ، وكان لعاداتهم وتقاليدهم الجاهلية المنافية للإسلام الأثر الكبير في التمسك بهذه العنصرية البغيضة .

مجموعة من الأحاديث النبوية في ذم العنصرية

قال رسول الله ﷺ في إحدى خطبه : « يا معشر قريش : إن الله قد أذهب عنكم نِخْوة الجاهلية وتعظُّمها بالآباء ، الناس من آدم وآدم من تراب »(١) .

وقال ﷺ : « إن الله قد أذهب عنكم عِبِّيَّةَ الجاهلية وفخرها بالآباء ، مؤمن تقي أو فاجر شقي ، أنتم بنو آدم وآدم من تراب ، ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن »(٢) .

وقال ﷺ : « ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على

---

(١) أبو داود ٥/ ٣٤٠(٥١١٦).

(٢) الجعل والجعلان نوع من الخنافس تأكل الغائط وتخزنه بعد أن تدحرجه وتدفعه بأنفها.

عصبية ، وليس منا من مات على عصبية»[١].

وقال ﷺ : « دعوها فإنها منتنة » . رواه البخاري .

وقال أيضاً : « المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه» وعند مسلم : «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه »[٢].

وقال عليه الصلاة والسلام لأبي ذر : « انظر فإنك لست بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تفضله بتقوى »[٣].

وقال : « سباب المؤمن فسوق ، وقتاله كفر » رواه البخاري ومسلم.

وقال ﷺ : « لا تباغضوا ولا تنافسوا وكونوا عباد الله إخوانا » رواه البخاري.

وقال أيضاً : « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيصد هذا ويصد هذا ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام » رواه البخاري ومسلم[٤].

---

(١) رواه أبو داود ٥/ ٣٤٢.
(٢) رواه البخاري الفتح ٥/ ٩٧، ومسلم ٤/ ١٩٨٦.
(٣) رواه أحمد ٥/ ١٥٨.
(٤) رواه البخاري ، الفتح ١١/ ٢١، ومسلم ٤/ ١٩٨٤، وهذا لفظ البخاري.

وعن عبد الله بن عمر أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أي المؤمنين أفضل؟ قال: «أحسنهم خلقاً» قال: فأي المؤمنين أكيس ؟ قال : «أكثرهم للموت ذكراً وأحسنهم لما بعده استعداداً أولئك الإكياس» ذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» .

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فإن الله يغفر له ما سوى ذلك لمن يشاء : من مات لا يشرك بالله شيئاً ، ولم يكن ساحراً يتبع السحرة ، ولم يحقد على أخيه» «مجمع الزوائد»[1].

وقال ﷺ : « من قتل تحت راية عمية يدعو عصبية أو ينصر عصبية فقتلة جاهلية » رواه مسلم.

وعن حذيفة قال: قال ﷺ :« لن تفنى أمتي حتى يظهر فيهم التمايز والتمايل والمقامع » قلت : يا رسول الله ما التمايز ؟ قال: «التمايز: عصبية يُحدثها الناس بعدي في الإسلام » قلت: فما التمايل؟ قال: « تميل القبيلة على القبيلة فتستحل حرمتها » قلت: فما المقامع؟ قال: « سير الأمصار بعضها إلى بعض تختلف أعناقهم في الحرب » رواه الحاكم.

---

(١) مجمع الزوائد ١/ ١٠٤، وهو في الطبراني الكبير ١٢/ ٢٤٣.

وقال : « إن المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد لما في الرأس » رواه أحمد .

وقال ﷺ : « لن تؤمنوا حتى تراحموا » قالوا : يا رسول الله كلنا رحيم قال : « إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه ، ولكنها رحمة الناس ، رحمة العامة » رواه الطبراني .

وقال أيضاً : « تكون فتنة يقتتلون عليها على دعوى جاهلية قتلاها في النار » أخرجه الحاكم .

سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أي ذلك في سبيل الله فقال رسول الله ﷺ : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » رواه مسلم .

ومعنى يقاتل حمية : أي يقاتل أنفة وغيرة دفاعاً عن عشيرته وجماعته وقبيلته وعرقيته .

وقال ﷺ : « والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أدلكم على أمر إذا أنتم فعلتموه تحاببتم ، أفشوا السلام بينكم ، وإياكم والبغضة فإنها هي الحالقة » . رواه البخاري ومسلم .

وعند الترمذي في آخره : «لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين» .

وقال ﷺ : « المؤمن مرآة المؤمن ، والمؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه » رواه أبو داود .

وقال : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » رواه البخاري ومسلم .

وقال أيضاً فيما يرويه عن الله تبارك وتعالى : « المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء » رواه الترمذي .

وقال ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » رواه البخاري ومسلم .

روى مسلم وأحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[1] دعا رسول الله ﷺ فعمَّ وخصَّ فقال : « يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار . يا معشر بني كعب أنقذوا أنفسكم من النار . يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار ، فإني والله لا أملك لكم من الله شيئاً ، إلا أن لكم رحماً سأبُلُّها ببلالها »[2] .

---

(١) سورة الشعراء الآية ٢١٤ .

(٢) مسند أحمد ٢/ ٣٦٠ وهذا لفظه .

وعن أبي عقبة - وكان مولى من أهل فارس - قال : شهدت مع رسول الله ﷺ أُحداً فضربت رجلا من المشركين فقلت : خذها مني وأنا الغلام الفارسي ، فالتفت إلي رسول الله ﷺ فقال: « فهلا قلت: خذها مني وأنا الغلام الأنصاري » رواه أبو داود.

وقال عليه الصلاة والسلام : « . . . وأنا آمركم بخمس كلمات أمرني الله بهن : الجماعة ، والسمع والطاعة ، والهجرة ، والجهاد في سبيل الله ، فمن خرج من الجماعة قِيد شبر خلع ربقة الإسلام من عنقه إلاأن يرجع ، ومن دعا بدعوة جاهلية فإنه من جُثَى جهنم ، قيل: يا رسول الله وإن صلى وصام ؟ قال: وإن صلى وصام ، فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين ، المؤمنين ، عباد الله » أخرجه الترمذي.

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن أنسابكم هذه ليست بسباب على أحد ، وإنما أنتم ولد آدم طفُّ الصاع لم تملؤوه ، ليس لأحد فضل على أحد إلا بالدِّين أو عمل صالح ». رواه أحمدوالبيهقي كلاهما من رواية ابن لهيعة ، ولفظ البيهقي قال : « ليس لأحد على أحد فضل إلابدين أو تقوى وكفى بالرجل أن يكون بذيئاً فاحشاً بخيلاً » ذكره المنذري.

وقال ﷺ : « انتسب رجلان على عهد موسى عليه السلام فقال

أحدهما أنا فلان بن فلان حتى عد تسعة، فمن أنت لا أمَّ لك؟ قال: أنا فلان ابن فلان ابن الإسلام، قال: فأوحى الله إلى موسى عليه السلام أنْ قل لهذبن المنتسبين : أما أنت أيها المنتسب إلى تسعة في النار فأنت عاشرهم ، وأما أنت أيها المنتسب إلى اثنين في الجنة فأنت ثالثهما في الجنة » رواه النسائي.

وقال ﷺ : « من أحب الله ورسوله صادقاً غير كاذب، ولقي المؤمنين فأحبهم، وكان أمر الجاهلية عنده كمنزلة نار أُلقي فيها، فقد طَعِمَ طَعْمَ الإيمان - أو قال: فقد بلغ ذِروة الإيمان » رواه الطبراني.

وقال ﷺ : « من فارق المسلمين قِيد شبر فقد خلع رِبقة الإسلام من عنقه، ومن مات ليس عليه إمام فميتته ميتة جاهلية، ومن مات تحت راية عِمِّيَّة يدعو إلى عصبية أو ينصر عصبية فقِتْلته جاهلية » رواه الطبراني.

وعن عمر أنه استأذن عليه رجل فقال : استأذنوا لابن الأخيار فقال عمر: ائذنوا له، فلما دخل قال له عمر: من أنت؟ قال: أنا فلان ابن فلان ابن فلان، قال فجعل يعدُّ رجالاً من أشراف الجاهلية، فقال له عمر : أنت يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ؟! قال: لا، قال: ذاك ابن الأخيار وأنت ابن الأشرار، إنما تعد على رجال أهل النار. رواه الحاكم في المستدرك.

عن عمرو بن شعيب عن أبيه قال : وقع بين المغيرة بن شعبة وبين عمرو بن العاص كلام فسبَّه المغيرة ، فقال عمرو : يالَهُصَيْص ؟ يسبني المغيرة ، فقال له عبد الله ابنه : إنا لله وإنا إليه راجعون ، دعوتَ بدعوى القبائل ! فأعتق عمرو بن العاص ثلاثين رقبة . وذلك تكفيراً عن هذه الكلمة التي ذكر فيها اسم جده المشرك هُصَيص . من «كنز العمال» .

وقال عليه الصلاة والسلام : « اسمعوا وأطيعوا و إن استُعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة » رواه البخاري .

وسئل رسول الله ﷺ : أي الناس أكرم؟ فقال : « أكرمهم عند الله أتقاهم » قالوا : ليس عن هذا نسألك ، قال : « فأكرم الناس : يوسف نبي الله ، ابن نبي الله ، ابن نبي الله ، ابن خليل الله » قالوا : ليس عن هذا نسألك ، قال : « فعن معادن العرب تسألوني؟» قالوا : نعم ، قال : « فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا » رواه البخاري .

وعن فُسَيلة قالت : سمعت أبي يقول : قلت يارسول الله أمن العصبية أن يعين الرجل قومه على ظلم؟ قال : « نعم » رواه البخاري في الأدب المفرد .

ويقول عليه الصلاة والسلام : « والذي نفس محمد بيده لو أن

فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » رواه النسائي .

إنها فاطمة بنت محمد ! بنت رسول الله وسيدة نساء العالمين رضي الله عنها .

والإسلام يهتم بالنسب كثيراً ، ويأمر المسلم أن يحرص على نسبه وسلالاته أي ينتسب لأبيه وأمه وأجداده وعائلته وجماعته، لا ليتفاخر أو يتفاضل على الآخرين بهم، بل ليعرف نسبه فلا تختلط الأنساب فيتزوج الإنسان من هو محرم عليه من أقربائه وجماعته، وكذلك لحفظ الحقوق وعدم أكل أموال الناس بالباطل، فلا تتشابه الأسماء وتختلط، ولأسباب وفوائد كثيرة ليس منها التفاخر أو التفاضل كما يفهمه الكثيرون[1] .

ماذا قال عمر رضي الله عنه وهو يحتضر

وعندما طلب بعض الصحابة من عمر بن الخطاب رضي الله عنه

---

(١) الأنساب القريبة التي يمكن التوصل إلى معرفتها ليس من المكروه الاشتغال بها وذلك للزوم الحاجة إليها في الأمور الشرعية من التعصيب في الميراث والولاية في النكاح والعاقلة في الديات أما أن يكتب نسبه إلى آدم أو نوح أو عدنان فهي أنساب بعيدة عسيرة المدرك كما قال ﷺ: «من ههنا كذب النسابون» لأنها أحقاب متطاولة والعلم بها لا ينفع حيث يقول سبحانه في سورة إبراهيم: ﴿والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله﴾.

أن يستخلف خليفة قبل موته -وذلك بعد أن طُعن من قِبل أبي لؤلؤة المجوسي- قال : لو أدركني أحد رجلين فجعلت هذا الأمر إليه لوثقت به: سالم مولى أبي حذيفة وأبوعبيدة بن الجراح ، فإن سألني ربي عن أبي عبيدة قلت : سمعت نبيك يقول : « إنه أمين هذه الأمة » ، وإن سألني عن سالم قلت : سمعت نبيك يقول : « إن سالماً شديد الحب لله »[١].

وسالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنه كان عبداً مملوكاً لأبي حذيفة .

وكان عمر رضي الله عنه قد أمر أن يصلي بالمسلمين صهيب مولى بني جدعان ، وفيهم كبار الصحابة رضي الله عنهم ، وذلك إلى أن يتم اختيار الخليفة ، حيث جعل اختيار الخليفة شورى بين ستة نفر من كبار الصحابة[٢].

أمير المؤمنين عمر يأمر بضرب العنصريين بالسيف

ويقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في احدى رسائله الموجهة إلى أحد قواده سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه :

(. . . وإذا كانت بين القبائل نائرة - فتنة هائجة - وتَدَاعَوْا يال فلان - أي نادوا بالعنصرية والعصبية والقبلية - فإنما تلك نجوى

---

(١) سيرة عمر بن الخطاب.

(٢) البداية والنهاية ٧/ ١٥٠ .

الشيطان فاضربهم بالسيف حتى يفيئوا إلى أمر الله وإلى الإمام ، وقد بلغ أمير المؤمنين أن ضبة - اسم قبيلة - تداعوا : يال ضبة - أي تنادوا بالعصبية الجاهلية - وإني والله ما أعلم أن ضبة ساق الله بها خيراً قط ولامنع بها من سوء قط ، فإذا جاءك كتابي هذا فأَنِهْكهم عقوبة حتى يَفْرَقوا - يخافوا - إن لم يفقهوا . . .)[1].

وصية عمر لقائده سعد

ويقول رضي الله عنه في إحدى وصاياه لسعد رضي الله عنه عندما أَمَّره على حرب العراق :

(يا سعدُ سعدَ بن وهيب، لا يغرنك من الله أنْ قيل: خال رسول الله ﷺ وصاحب رسول الله ﷺ ، فإن الله عز وجل لا يمحو السيء بالسيء ، ولكن يمحو السيء بالحسن ، فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته ، فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء ، الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية - أي بالسلامة من الذنوب - ويدركون ما عنده بالطاعة، فانظر الأمر الذي رأيت عليه النبي ﷺ منذ بُعث إلى أن فارَقَنا فالزمه، فإنه الأمر، هذه عظتي إياك إن تركتَها ورغبتَ عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين) « أخبار عمر » للطنطاوي .

---

(١) سيرة عمر بن الخطاب.

أول دستور يضعه الرسول ﷺ للأمة الإسلامية

وفي الوثيقة التي كتبها رسول الله ﷺ بين المسلمين والمؤمنين من قريش ويثرب ومن تبعهم من كافة القبائل ، ووادع فيها اليهود وتركهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم ، دروسٌ وعبر ، وسأقتصر على بعض الفقرات الخاصة بهذا البحث فقد جاء في أولها :

« بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، أنهم أمة واحدة من دون الناس، وأن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دَسِيعةَ - أي عطية - ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين وأن أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم ، ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر ، ولا ينصر كافراً على مؤمن، وأن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم وأن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس ، وأنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم، وأن سِلْم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم ، وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد ﷺ »[1] .

---

(١) الوثيقة بكاملها موجودة في كتب السيرة، البداية والنهاية ٣/٢٢٣.

إذاً المسلمون أمة واحدة ، جماعة واحدة ، كتلة واحدة إذا فقد التناصر وفقدت المحبة فقد الإيمان ، كما قال سيد البشر محمد ﷺ : «لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه» .

يمنعون الظلم عن بعضهم ويأخذون على أيدي كل من ابتغى الظلم أو العدوان ، حتى لو كان من أبنائهم ، فهل فعلنا ذلك ؟ فهل اقتدينا بهم ؟ .

*****

الفصل الثالث
الأمة الإسلامية

مميزات الأمة الإسلامية

وهكذا يتبين أن الأمة الإسلامية ليست أمة عنصرية ، ولا أمة عرقية كادعاء اليهود بأنهم أفضل البشر ، وأن غيرهم هم الحيوانات أو العبيد لهم، ولا عصبية جنس أو لون ، أو تفرقة بين الشعوب مهما كان موقعه لأن الإسلام فرض على جميع المسلمين أن يحب بعضهم بعضاً ، ويعاون بعضهم بعضاً ، وينصر بعضهم بعضاً ، ولا يتعصبوا لأرض أو لشعب أو لجنس أو للون معين ، كعصبية القومية أو الوطنية ، لأن هذه الأمة أفضل الأمم ، كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[1] .

ومعنى الآية والله أعلم : أنكم أيها المؤمنون خير أمة ، لأنكم تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ، أي : تطبقون

---

(١) سورة آل عمران الآية ١١٠ .

شريعته وتتبعون أوامره ونواهيه في جميع شئون الحياة الدنيا .

إن هذه الأمة أفضل من غيرها بأعمالها ، ومبادئها ، وإيمانها ، بتراحمها، بعدالتها ، بمنعها الظلم ، ولذلك فهي ليست حكراً على شعب معين ، ولا عنصر معين ، ولا دم معين ، إنما ملك لكل مسلم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، وعمل بمقتضى الإيمان أياً كان جنسه أو لغته أو أرضه أو منشؤه ، كما كانت ملكاً لبلال الحبشي، وصهيب الرومي، وسلمان الفارسي، وعلى المستوى نفسه الذي كانت ملكاً للمؤمنين من قريش .

وإنما يتفاضل الناس بالتقوى ، قال تعالى : ﴿ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[1] .

أما الطرف الآخر من الملحدين والمنحرفين والكافرين والعلمانيين فهم أعداء لنا - أعداء لله ولرسوله حتى لو كان بعضهم من أبنائنا أو إخواننا أو عشيرتنا ، كما قال سبحانه : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ

---

(١) سورة الممتحنة الآية ٣.

فِيهَآ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1].

ولذلك تميز المسلمون واستعلوا بدينهم ، وليس بجنسهم أو لونهم وافتخروا بالانتماء لهذا الدين الذي هو سبب تلك العزة والرفعة والسيادة ، ولن يكون للمسلمين العزة والكرامة والرفعة إلا بالرجوع إلى هذه العقيدة والحب والولاء لدين الله والمؤمنين به ، والبراءة من كل كافر ومشرك ومنافق حتى لو كان أقرب قريب .

سعد بن أبي وقاص يضحي بحياة أمه من أجل العقيدة

وهذا الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عندما أسلم في أوائل الدعوة في مكة ، تطلب منه والدته حَمْنَة بنت أبي سفيان أن يكفر بمحمد ، ويعود لعبادة الأوثان وتقول له : والله لا آكل ولا أشرب حتى ترجع إلى ما كنت عليه أو أموت، فتعيرَّ بذلك أبدَ الدهر، ويقال لك : ياقاتل أمه! ومكثت يوماً وليلة لم تأكل ولم تشرب ولم تستظل ، ثم مكثت يوماً آخر وليلة لم تأكل ولم تشرب ، وفي رواية أخرى كما أخبر هو بنفسه ، قال : حلفت أم سعد أن لاتكلمه أبداً حتى يكفر بدينه ولاتأكل ولاتشرب ، وقالت : زعمت أن الله وصاك

---

(١) سورة المجادلة الآية ٢٢ .

بوالديك وأنا أمك وأنا آمرك بهذا، ومكثت ثلاثة أيام حتى غشي عليها من الجهد ، فقام ابن لها يقال له عمارة ، فسقاها ، فجعلت تدعو على سعد ، فأنزل الله عزوجل في القرآن هذه الآية : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ﴾[١] قال: فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا فاها - أي فتحوا فمها - بعصا ثم أوجروها - أي: صبوا فيه الطعام - . رواه مسلم .

وجاء سعد إليها ، وكان باراً بأمه ، وقال لها : يا أماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني فكُلي ، وإن شئت فلا تأكلي ، فلما أيست منه أكلت وشربت[٢] .

المهاجرون والأنصار يتآخون ويتوارثون

وعندما هاجر المسلمون الأوائل على عهد رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة بأمر رسول الله ﷺ ، آخى رسول الله ﷺ بينهم وبين الأنصار سكان المدينة في دار أنس بن مالك ، وكانوا تسعين رجلاً ، نصفهم من المهاجرين ، ونصفهم من الأنصار ، آخى بينهم على المواساة ، يتوارثون بعد الموت دون ذوي الأرحام ، حتى أنزل الله : ﴿ وَأُوْلُوا

---

(١) سورة العنكبوت الآية ٨.

(٢) صحيح مسلم شرح النووي ١٥/ ١٨٥-١٨٧ .

﴿ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[١]. وردَّ التوارث إلى الرحم دون عقد الأخوة. «زاد المعاد».

المسلم لا يرث الكافر والكافر لا يرث المسلم

والتوارث بين ذوي الأرحام إذا كانوا جميعا مسلمين، ولكن الثابت في الشريعة الإسلامية أن المسلم لا يرث الكافر، والكافر لا يرث المسلم، ولو كان والد الموروث أو أمه.

نموذج عجيب للأخوة بين عبد الرحمن بن عوف القرشي وسعد بن الربيع الأنصاري

روى البخاري: أن المهاجرين لما قدموا المدينة آخى رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وهو من قريش، وسعد بن الربيع وهو من الأنصار أهل المدينة، فقال سعد لعبد الرحمن: إنني أكثر الأنصار مالاً فأقسم مالي نصفين بيني وبينك، ولي امرأتان فانظر إلى أعجبهما إليك فسمِّها لي أطلقْها فإذا انقضت عدتها فتزوجها. فقال عبدالرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، أين سوقُكم؟ فدلّوه على سوق بني قينقاع، فاشترى وباع وعاد معه شيء من طعام ثم تابع الغدوَّ حتى أصبح من الأثرياء[٢].

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٦.

(٢) البخاري مع الفتح ٧/ ١١٢.

العهد الأول من الصحابة ينتمون لقبائل مختلفة وأجناس متنوعة

لقد انتشر الإسلام في المرحلة المكية في سائر فروع قريش بصورة متوازنة دون أن يكون لإحدى عشائرها ثقل كبير في الدعوة الجديدة ، وهذه الظاهرة مخالفة لطبيعة الحياة القبلية آنذاك ، ولكن هذا الانفتاح المتوازن على الجميع أعان في انتشار الإسلام في العشائر القرشية العديدة دون تحفظات متصلة بالعصبية ، فأبو بكر الصديق من تيم ، وعثمان بن عفان من بني أمية ، والزبير بن العوام من بني أسد ، ومصعب بن عمير من بني عبدالدار ، وعلي بن أبي طالب من بني هاشم ، وعمر بن الخطاب من بني عدي ، وعبدالرحمن بن عوف من بني زهرة ، وعثمان بن مظعون من بني جمح .

بل إن عدداً من المسلمين في هذه المرحلة لم يكونوا من قريش، فعبدالله بن مسعود من هذيل، وعتبة بن غزوان من مازن، وعبدالله ابن قيس من الأشعريين، وعمار بن ياسر من عنس من مذحج ، وزيد بن حارثة من كلب، والطفيل بن عمرو من دوس، وأبو ذر من غفار، وعمرو بن عَبَسَة من سليم ، وعامر بن ربيعة من عنز بن وائل، وصهيب النمري من بني النمر بن قاسط .

لقد كان واضحاً منذ الوهلة الأولى أن الإسلام ليس خاصاً بمكة

وقريش . « السيرة النبوية الصحيحة » للعمري .

ومنذ الوهلة الأولى أيضاً ، اعتنق الإسلام بلال بن رباح ، وأصله من الحبشة بأفريقيا ، وكان عبداً مملوكاً اشتراه أبو بكر وأعتقه .

وفي الفترة الأولى أيضاً كان من ضمن معتنقي الإسلام زيد بن حارثة ، وعامر بن فهيرة ، وأبو فكيهة ، وشقران ، وقال عمار بن ياسر : رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد ، وامرأتان ، وأبوبكر [١] .

أخوة العقيدة أفضل وأعظم من أخوة الدم والنسب

قال ابن إسحاق : وحدثني ابن وهب أخو بني عبدالدار : أن رسول الله ﷺ حين أقبل بالأسارى من غزوة بدر ، فرقهم بين أصحابه وقال : استوصوا بهم خيراً ، وكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم أخو مصعب ابن عمير لأبيه وأمه في الأسرى ، قال أبو عزيز يروي قصته : مرّ بي أخي مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسرني ، فقال له أخي مصعب : أشدد يديك به ، فإن أمه ذات متاع لعلها تفديه منك .

قال ابن هشام في سيرته : وكان أبو عزيز هذا صاحب لواء المشركين ببدر بعد النضر بن الحارث ، ولما قال أخوه مصعب لأبي اليسر وهو

---

(١) المصدر السابق .

الذي أسره ما قال ، قال له أبو عزيز : يا أخي هذه وصاتك بي ؟ فقال له مصعب : إنه أخي دونك .

لقد أصبح الأنصاري أبو اليسر أخاً لمصعب القرشي الهاشمي ، لأنهما مسلمان ، وليس هذا فقط ، بل إن أخوتهما أفضل وألزم وأقوى من أبي عزيز المشرك الذي هو أخٌ لمصعب من أمه وأبيه .

وهكذا أصبحت أخوة الإسلام أفضل وأعظم من أخوة الدم والقربى والنسب ، وقد رأينا كيف أن أبا عبيدة رضي الله عنه قاتل أباه المشرك عندما التقى به في معركة بدر الكبرى ، وقتله تقرباً إلى الله سبحانه تعالى ورأى جثة أبيه بعد ذلك وهي تسحب لترمى في القليب (البئر) ببدر دون أن ينكر قلبه ذلك . « سيرة ابن هشام » .

الصحابي محيِّصة بن مسعود يبلغ أخاه باستعداده لقتله إذا أمره الرسول ﷺ بذلك

وجاء في سيرة ابن هشام أيضاً أن رسول الله ﷺ لما ظفربني قريظة من اليهود، وأمر بقتلهم نتيجة غدرهم ونقضهم للعهد الذي تمّ بينهم وبين المسلمين قام محيِّصة بن مسعود بن كعب من الأوس وهجم على ابن سنينة اليهودي - رجل من تجار يهود - وقتله، وكان أخو محيصة إذ ذاك مشركاً لم يسلم وكان أسن من محيصة، فلما قتله جعل أخوه المشرك يؤنبه، ويقول له: أقتلته؟ أما والله لَرُبَّ شحم في بطنك من

ماله، فردّ عليه أخوه المؤمن - والله لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لضربت عنقك - فدهش أخوه المشرك وقال: آلله لو أمرك بقتلي لقتلتني؟ قال: نعم، والله لو أمرني بضرب عنقك لضربتها، قال: والله إن ديناً بلغ بك هذا لعجب، وأسلم بعد ذلك، وقال محيصة في ذلك:

يلوم ابن أمي لو أُمرتُ بقتله ... لطبَّقت ذفراه بأبيضَ قاضبِ

حسامٍ كلون الملح أُخلِصُ صقله ... متى ما أصوِّبه فليس بكاذب

وما سرني أني قتلتك طائعاً ... وإن لنا مابين بُصْرى ومأرب

أم المؤمنين تمنع أباها المشرك من الجلوس على فراش رسول الله

وعندما قدم أبو سفيان بن حرب إلى المدينة المنورة وهو مشرك قبل فتح مكة، ودخل على ابنته أم حبيبة بنت أبي سفيان أم المؤمنين رضي الله عنها، وذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه - أبعدته عنه - فقال: يابنية! ما أدري أرغبتِ بي عن هذا الفراش أم رغبتِ به عني؟ قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ، وأنت رجل مشرك نجس، فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ!! قال: والله لقد أصابكِ يا بنية بعدي شر.

وليس ذلك فقط بل لم تفشِ رضي الله عنها أو تخبر أباها المشرك بما عزم عليه رسول الله ﷺ من تجهيز الجيش لفتح مكة، وإبادة من يقف

في مواجهة ذلك من المشركين، وعلى رأسهم أبوها المشرك آنذاك[١].

نجاح الصحابة في امتحان العقيدة

وهكذا نجح الصحابة رضوان الله عليهم في امتحان العقيد، ففارقوا الأهل والأموال والمساكن والأوطان التي يحبونها، وهاجروا إلى الله سبحانه وتعالى فأصبحوا أعظم أمة وأفضل أمة، لا بجنسهم، ولا بأصلهم، بل بإيمانهم وعقيدتهم، فأصبحوا خير أمة وأفضل أمة بنص القرآن الكريم، وهذه الأمة وهذا المجتمع، مفتاح الأبواب لجميع بني البشر مهما كان أصلهم وشعوبهم وألوانهم بشرط واحد، أن يؤمنوا بهذا الدين وأن لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وأن يؤمنوا بجميع الأنبياء والرسل وبالكتب التي أنزلها الله معهم، وليست الكتب الموجودة الآن بين النصارى واليهود لأنها محرفة غُيرت وبدلت من قِبَلِهِم، وكذلك الإيمان بالملائكة وبالقدر خيره وشره.

إن على جميع المسلمين أن يتمسكوا بمبادئ الإسلام العظيمة، ولا يمكن أن يستكملوا الإيمان إلا إذا تركوا عادات الجاهلية من تكبر وتفاخر وعنصرية وعصبية، وهكذا يصبحون أعضاء في المجتمع الإسلامي المملوء رحمة محبة ومواساة بين أفراده، كبيرهم

(١) البداية والنهاية (٤/ ٢٧٩).

وصغيرهم، غنيهم وفقيرهم، حاكمهم ومحكومهم .

وعلاقة المؤمنين قائمة على الاحترام المتبادل ، فلا يستعلي غني على فقير ، ولا حاكم على محكوم ، ولا قوي على ضعيف .

العداء في الإسلام يعدل الكفر

عن قيس قال : قال عبد الله بن مسعود : إذا قال الرجل لصاحبه : أنت عدوّي فقد خرج أحدهما من الإسلام أو برىء من صاحبه ، وقال قيس: وأخبرني - بعدُ - أبو جحيفة أن عبد الله قال : إلا من تاب . « الأدب المفرد » .

تحريم تكفير المسلمين

وعن أبي ذرّ رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه، إن لم يكن صاحبه كذلك » . رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر فقد باء به أحدهما » رواه البخاري.

وجاء في الحديث - الذي رواه أبو قلابة رضي الله عنه عن ثابت بن الضحاك - : «من حلف على ملة غير كاذباً فهو كما قال وليس على ابن آدم نذر فيما لا يملك، ومن قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب به يوم القيامة، ومن لعن مؤمناً كقتله، ومن قذف مؤمناً بكفر فهو قتله »

رواه البخاري ومسلم .

كيف يساهم المسلم في العودة للإسلام وإنقاذ الأمة الإسلامية والمجتمع الإسلامي

إنه لابدّ من العودة إلى الله ، ولابد من العودة إلى الصفات الإسلامية من حب وتعاون ، وصلة وزيارة ، ومساعدة وبر وصدقة ، فيضع الغني أمواله في خدمة المجتمع الإسلامي ، ببناء المدارس الإسلامية ، والمستشفيات ، والمعاهد ، ومدارس الأيتام للذكور والإناث ، ونشر العلم ، وترجمة الكتب الإسلامية للغات الخاصة بالمسلمين في بلادهم ، والدعوة إلى الله بكافة الوسائل ، ومواساة الفقراء والمساكين ، وكافة السبل التي تساعد على بناء المجتمع الإسلامي في كافة المجالات ، مثلما كان يفعله المسلمون الأوائل ، والأمثلة على ذلك كثيرة .

حالة المسلمين الأوائل من فقر وعوز وتعاطف الأغنياء معهم

إن أغلب المسلمين الذين هاجروا من مكة إلى المدينة كانوا فقراء ، لأن المشركين في مكة استولوا على جميع مايملكون ، وجميع المسلمين تركوا أموالهم وبيوتهم وأعمالهم وهاجروا لله ولرسوله ، حتى إن الله تعالى سماهم في كتابه الكريم فقراء ، فقال تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ ﴾[1] ووضع الأنصار - وهم سكان

---

(١) سورة الحشر الآية ٨ .

المدينة -كافّة إمكانياتهم في خدمة المهاجرين ، وكثير من المهاجرين كان يقيم في الجزء الخلفي من المسجد ، وهو ما يعرف (بالصفّة) حيث يبلغ عددهم أحياناً سبعين أو أكثر ، يزيدون أو ينقصون ، حسب عدد البعوث والقادمين أو المغادرين لأنحاء الجزيرة .

وورد أن سعد بن عبادة وهو من الأنصار كان يستضيف وحده ثمانين منهم ، فضلاً عن الآخرين الذين يتوزعهم الصحابة ، وكانوا منقطعين للعبادة والعلم والجهاد ، ولم يكن لديهم ملابس كافية تقيهم من البرد أو تستر أجسامهم ، وكان بعض الملابس لا يبلغ الركبتين أو نصف الساقين ، وكان الرسول ﷺ يهتم بهم ويزودهم بالتمر، وأحياناً يدعوهم ليشربوا اللبن أو ليتناولوا الطعام في بيته ، وكان يقول لأصحابه : « من كان لديه طعام اثنين فليذهب بثالث ، وإنْ أربع فخامس أو سادس»[١] .

كيف بدأ العنصريون بتدمير الأمة الإسلامية

إن من أعظم ما أتحف الإسلام به الإنسانية : الأخوة التي تقوم على أساس العقيدة والفضيلة والأخلاق ، كان التجمع في الماضي يقوم على أساس السلالة والنسل واللون والحرفة والقبيلة ، وهذا من أعظم

---

(١) انظر الحلية لأبي نعيم ١/ ٢٣٧-٢٤٧، والفتح ١١/ ٢٨١-٢٩٣، وابن سعد ١/ ٢٥٥-٢٥٦ .

الظلم ، إنها وسائل وطرق للهدم والتخريب والدمار والشقاء والقتل وسفك الدماء ونشر العداء والحقد بين الناس ، تماماً كما هو موجود الآن بالإضافة إلى تقديس جنس على جنس والتفوق عليه بالقصص والأساطير والخرافات ! .

سلالة أفضل من سلالة ، ووطن خاص أفضل من وطن عام ، وأبناء قرية أفضل من أبناء بلدة ، وأبناء شعب أفضل من أبناء شعب ، وصاحب حرفة أفضل من حرفة أخرى ، ولون إذا خف في السواد كان أفضل من لون قاتم ، وأسود حالك أو أسود إذا أعرق في الحلكة كان أفضل وأدل من سواد يشبه السمرة! وأبناء الجد الخامس أفضل من أبناء الجد الثامن ، وهذا كان جده سلطاناً ، وآخر كان جده حاكماً ، وثالث كان جده مسيطراً على البلاد ، ورابع كان جده أو أبوه زعيماً لايشق له غبار ، وهذا أمه صانعة أو مملوكة أو فلاحة أو جارية ، وآخرون كان أجدادهم عبيداً أو مملوكين ، إنها لمهزلة ! .

إنسانية عجيبة ، وعقول انحدرت إلى الحضيض في تفكيرها واعتقادها ، لقد استطاع الشيطان أن ينتصر عليهم ، ويبول على رؤسهم وعقولهم ، فأصبحوا وسائل للهدم والتدمير ، وإبادة الإسلام والمسلمين ، لئلا تقوم له قائمة أبداً ، وليتمكن أعداء الإسلام من تدمير المسلمين بلداً بلداً وجماعة جماعة ، بدون أن تثور أو تغضب الجماعات أو البلدان الإسلامية الأخرى .

لقد جاء الإسلام إلى هذا المجتمع الزائف، وضرب ضربته الحاسمة المعروفة في التاريخ ، فنقض هذا الأساس ، وأسَّس مجتمعاً جديداً ، أساسه الإيمان والعقيدة والصلاح والفضيلة ، وعلى أساس الكفاءة والكفاح والعمل ، ومدى تطبيق الإسلام وشريعة الإسلام ، ومدى إخلاصه في دينه وعقيدته ، وعلى أساس وحدة الإنسان ، لأن المسلم ملازم للدعوة إلى الله بين المسلمين وغير المسلمين ، وهو يتمنى الهداية لكافة بني البشر من أي جنس أو لون كانوا ، وهو يفرح بهدايتهم وإنقاذهم من النار .

إن قبائل العرب على عهد رسول الله ﷺ كانت أكثر من ثلاثين قبيلة ، فلما آخى ﷺ بينهم أصبحوا أمة واحدة .

يقول سبحانه وتعالى : ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1]

أذلَّة : بمعنى ذلول مع إخوانه ، سهل الانقياد ، مطيع صبور ، يتحمل كل شيء من إخوانه بدون ضيق وملل ، أما مع الكفار فعزيز قوي، لكن الجاهلية اليوم عكست هذه الصورة ، حيث أصبح الإنسان أسداً هصوراً على جيرانه وأرحامه وإخوانه في العقيدة والدين، وذليلاً مخادعاً جباناً أمام الكفار والأعداء ! فنسأل الله الهداية .

---

(١) سورة المائدة الآية ٥٤ .

إن كل قبيلة بحاجة لمن حولها من القبائل ، وكذلك كل شعب بحاجة للشعوب المحيطة به ، ولو فرضنا أن قبيلة أو شعباً أو جنساً طبق هذا الهراء وهذا السخف وهذا الضلال ، وأعتقد أنه الجنس الأفضل والأحسن والأرقى ، وأن الآخرين من دونه ، ماذا ستكون النتيجة ؟ .

إن جميع من حوله من قبائل أو شعوب ستحتقره وتكرهه وتتمنى دماره وفناءه وإذلاله ، وتعمل منفردة أو مجتمعة على زواله وإبادته ودماره ، ولو تعرض لعدوان من قبيلة أو شعب أو دولة سواء كانت كافرة أو غير كافرة ، فلن يجد من ينجده ولا من يعينه أو يقف بجانبه حتى لو كان مظلوماً .

طبِّقْ هذا المثل على نفسك أيها العنصري أو أيها الشعوبي أو القبلي أو أيها المستكبر أو أيها المغرور بجنسك أو عرقيتك - لو أن بعض من حولك تعالى عليك واحتقرك أو فضلَ جنسه على جنسك ، أو قبيلته على قبيلتك ، أو شعبه على شعبك ، أو بلده على بلدك ، أو عائلته على عائلتك ، فماذا سيكون شعورك وإحساسك ورَدُّ فعلك ، أَوَليس نتيجة ذلك العداء والحقد والكره والنفور والانتقام ودمار الأمة والأفراد .

لطف الرسول ﷺ مع الأعراب الجفاة

وقد كان ﷺ الرجل الأول المطبق لهذا الخُلُق العظيم .

روى البخاري في «صحيحه» عن أنس بن مالك قال كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجذبه جذبة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته ثم قال: مر لي من مال الله عندك، فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء.

وفي رواية أخرى للبخاري: احمل لي على بعيري هذين فإنك لا تحمل لي من مالك ولا من مال أبيك.

*****

الفصل الرابع
نتائج العنصرية وماتحدثه من جرائم القتل وسفك الدماء

من نتائج التمسك بالعنصرية والعصبيبة والقبلية والشعوبية والتجمع على أساس عرقي : جرائم سفك الدماء ، وجرائم القتل ظلماً وعدواناً .

ونحن نرى ذلك حقيقة واقعة في الحروب القبلية والعرقية التي حدثت ولا زالت في الصومال ، البلد المسلم على مرآى ومسمع من الجميع ، حيث الصراع الدموي الرهيب بين القبائل ، بهدف فوز القبيلة وسيطرة القبيلة بتشجيع من زعماء كل قبيلة ، وذلك في سبيل استيلائهم على الحكم لإرضاء غرورهم وتقديس أشخاصهم .

وكذلك الحرب العنصرية الرهيبة التي تحدث في أفغانستان المسلمة ، فإن شهوة الحكم غلبت على بعض قادتهم فأعمت بصيرتهم وأساؤوا إلى دينهم وعقيدتهم ! الأفغانيون معروفون بالتمسك بالدين الإسلامي ، ولكن العنصريين منهم جهلاء تماماً - على ما يبدو - بالحكم الإسلامي بالنسبة للعنصرية والعصبية والقبلية والعرقية ! .

لقد كنا نعتقد في السابق أن عنصرية الأفغان تنحصر فقط في الزواج فهم يرفضون تزويج بناتهم إلا لسلالتهم وأبناء قبيلتهم ، ولم نكن نعلم أن عنصريتهم قد فاقت أية عنصرية أخرى في الحقد والعداء والرغبة في سحق الآخرين ، وهذا دليل على أن علماءهم ، وكذلك العلماء العرب الذين شاركوهم في جهادهم ، وكذلك علماء المسلمين قد أهملوا وقصروا في محاربة هذا البلاء الذي ابتليت به الأمة الإسلامية بكاملها ، وذلك بسبب إهمال العلماء والدعاة في محاربة هذا المرض الفتاك الكريه النتن ، كما وصفه الرسول ﷺ ، والذي سيدمر الأمة الإسلامية ويزيدها تفككاً وتفرقة وبلاء ومصائب ، ويزيدها عداءً وحقداً لا يعلم مداه إلا الله إذا لم يتداركه - بتوفيق الله - علماء الأمة ودعاتها ، ويشنون عليه حرباً لا هوادة فيها .

ولهذا فمن الطبيعي أن تستمر المذابح بينهم ويستمر إبادة بعضهم لبعض مالم يتوبوا إلى الله ويتوقفوا عن هذه الجريمة النكراء ، جريمة العنصرية والعصبية والقبلية والعرقية ، وهي أسماء عدة لمعنى واحد .

إن الهدف من سفك هذه الدماء هي رغبة أغلب الأطراف أن يسيطر جنسهم وعرقهم وقبائلهم على البلاد ، هذه الرغبة التي استغلها فيهم أعداء الإسلام فأثاروها فيهم ، ونفخوها في دمائهم !! وليس من

الفصل الرابع
نتائج العنصرية وماتحدثه من جرائم القتل وسفك الدماء

من نتائج التمسك بالعنصرية والعصبيبة والقبلية والشعوبية والتجمع على أساس عرقي : جرائم سفك الدماء ، وجرائم القتل ظلماً وعدواناً .

ونحن نرى ذلك حقيقة واقعة في الحروب القبلية والعرقية التي حدثت ولا زالت في الصومال ، البلد المسلم على مرآى ومسمع من الجميع ، حيث الصراع الدموي الرهيب بين القبائل ، بهدف فوز القبيلة وسيطرة القبيلة بتشجيع من زعماء كل قبيلة ، وذلك في سبيل استيلائهم على الحكم لإرضاء غرورهم وتقديس أشخاصهم .

وكذلك الحرب العنصرية الرهيبة التي تحدث في أفغانستان المسلمة ، فإن شهوة الحكم غلبت على بعض قادتهم فأعمت بصيرتهم وأساؤوا إلى دينهم وعقيدتهم ! الأفغانيون معروفون بالتمسك بالدين الإسلامي ، ولكن العنصريين منهم جهلاء تماماً - على ما يبدو - بالحكم الإسلامي بالنسبة للعنصرية والعصبية والقبلية والعرقية ! .

لقد كنا نعتقد في السابق أن عنصرية الأفغان تنحصر فقط في الزواج فهم يرفضون تزويج بناتهم إلا لسلالتهم وأبناء قبيلتهم ، ولم نكن نعلم أن عنصريتهم قد فاقت أية عنصرية أخرى في الحقد والعداء والرغبة في سحق الآخرين ، وهذا دليل على أن علماءهم ، وكذلك العلماء العرب الذين شاركوهم في جهادهم ، وكذلك علماء المسلمين قد أهملوا وقصروا في محاربة هذا البلاء الذي ابتليت به الأمة الإسلامية بكاملها ، وذلك بسبب إهمال العلماء والدعاة في محاربة هذا المرض الفتاك الكريه النتن ، كما وصفه الرسول ﷺ ، والذي سيدمر الأمة الإسلامية ويزيدها تفككاً وتفرقة وبلاء ومصائب ، ويزيدها عداءً وحقداً لا يعلم مداه إلا الله إذا لم يتداركه - بتوفيق الله - علماء الأمة ودعاتها ، ويشنون عليه حرباً لا هوادة فيها .

ولهذا فمن الطبيعي أن تستمر المذابح بينهم ويستمر إبادة بعضهم لبعض مالم يتوبوا إلى الله ويتوقفوا عن هذه الجريمة النكراء ، جريمة العنصرية والعصبية والقبلية والعرقية ، وهي أسماء عدة لمعنى واحد .

إن الهدف من سفك هذه الدماء هي رغبة أغلب الأطراف أن يسيطر جنسهم وعرقهم وقبائلهم على البلاد ، هذه الرغبة التي استغلها فيهم أعداء الإسلام فأثاروها فيهم ، ونفخوها في دمائهم !! وليس من

ضمن هذا الخلاف تطبيق شريعة الإسلام ، وإلالكانت الحرب مشروعة فهم متفقون على الإسلام ، ولكن هدف البعض سيطرة جنس على جنس ، وقبيلة على قبيلة ، والمطالبة بنفوذ أكبر لهذه القبيلة أوتلك ، أو بمنصب أعلا لهذا الزعيم أو ذاك وإصرار كل منهم على موقفه ، وكان في استطاعتهم لو أرادوا الإخلاص لله ولرسوله أن يختاروا جميعاً رجلاً حيادياً مقبولاً من الجميع ، ويتنازلوا عن الحكم في سبيل إنقاذ الأمة الإسلامية في تلك البلاد المسلمة .

إنها حرب في سبيل الشيطان !! لقد انتصر الشيطان عليهم وأساؤوا إلى دينهم وعقيدتهم ، وعرف أعداء الإسلام نقطة ضعفهم فاطمأنوا إلى أنهم لن تقوم لهم قائمة أبداً ما داموا في غيهم وضلالهم .

لقد أنزل الله غضبه عليهم وجعل بأسهم بينهم ، لأنه علم ما في قلوبهم ، ولن يرفع هذا البلاء عنهم مالم يعودوا إلى دينهم ، ويكفروا بعنصريتهم وقبليتهم وعرقيتهم ويتوبوا إلى الله سبحانه .

لقد ارتكبوا هم وأمثالهم في الصومال وفي أفريقيا وفي مناطق كثيرة من عالمنا الإسلامي أكبر جريمة في حق أنفسهم ، وفي حق دينهم ، لأن المؤمن ليس من أهدافه الوصول إلى الحكم أو الزعامة أو السيطرة سواء كان ذلك لشخصه أو لقبيلته ، وحتى لو كان يرى نفسه أنه الأفضل والأتقى والأعلم والأصلح لهذا الأمر ، فإن عليه أن يترك

ذلك حقناً للدماء وحفظاً لأرواح المسلمين ، لأن المؤمنين موقنون أن ولاية المسلمين بلاء وامتحان عسير لا ينجو منه إلا القليل يوم العرض الأكبر .

ولهذا فنحن لا نملك إلا أن نبتهل إلى الله أن يهدي الضالين منهم إلى سبيل الرشاد ، وأن يريهم الحق حقاً ويرزقهم اتباعه ، ويريهم الباطل باطلاً ويرزقهم اجتنابه ، ولهذا سنحاول أن نشرح في الفصل التالي حكم الإسلام في جريمة القتل وأنواعها فنقول وبالله التوفيق .

ماذا قال سبحانه عن قتل المسلم وسفك دمه

يقول سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ

---

(١) سورة الفرقان الآية ٦٨، ٦٩ .

(٢) سورة النساء الآية ٩٣ .

﴿أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾[١].

وهذه طائفة من الأحاديث في تحريم دم المسلم ، وعِظَم أمره عند الله تعالى، أنقلها للقارى الكريم من كتاب « الترغيب والترهيب » وتخريجها هناك ، واخترت الثابت منها :

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء »[٢].

والسبب في أن الدماء أول مايقضى فيها لأنها أعظم المظالم فيما يرجع إلى العباد ، ففيها وعيد شديد من حيث يبتدأ بها في الحساب .

وفي رواية أخرى للنسائي : « أول مايحاسب عليه العبد الصلاة ، وأول ما يقضى بين الناس في الدماء » .

والأصل أن دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم محرمة من بعضهم على بعض لا تحل إلا بإذن الله ورسوله ، حيث قال النبي ﷺ لما خطب في حجة الوداع : « إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا »[٣].

---

(١) سورة المائدة الآية ٣٢.
(٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه.
(٣) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

وقوله ﷺ : « كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله»[١].

وقوله أيضاً ﷺ : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « اجتنبوا السبع الموبقات » قيل : يارسول الله وما هن ؟ قال : « الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات »[٣].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « لن يزال المؤمن في فسحة من دينه مالم يصب دماً حراماً »[٤].

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغيرحق » رواه ابن ماجه بإسناد حسن.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة لقي الله مكتوباً بين عينيه : آيس من رحمة

---

(١) رواه مسلم والترمذي.
(٢) رواه البخاري وسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه.
(٣) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي.
(٤) رواه البخاري والحاكم.

الله-» . رواه ابن ماجه والأصبهاني وزاد : قال سفيان بن عيينة : هو أن يقول : أُق - يعني لايتم كلمة أُقْتَلْ[١] .

وقال ابن عمر رضي الله عنهما : إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله . رواه البخاري .

الورطات : جمع ورطة بسكون الراء وهي الهلكة وكل أمر تعسر النجاة منه .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم » . رواه مسلم .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قتل بالمدينة قتيل على عهد رسول الله ﷺ لم يعلم من قَتَلهُ فصعد النبي ﷺ المنبر فقال : « يا أيها الناس يقتل قتيل وأنا فيكم ولا يعلم من قتله ، ولو اجتمع أهل السماء والأرض على قتل امرىء لعذبهم الله إلا أن يفعل ما يشاء » رواه البيهقي .

وعن أبي بكرة عن النبي ﷺ قال : « لو أن أهل السموات والأرض اجتمعوا على قتل مسلم لكبهم الله جميعاً على وجوههم في النار » رواه

---

(١) هو عند ابن ماجه بإسناد ضعيف وراجع الترغيب والترهيب للمنذري ٣/ ٢٩٤، ٧/ ٨٢ .

الطبراني .

وعن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافراً أو الرجل يَقتُلَ مؤمناً متعمداً» رواه النسائي.

وعن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « يخرج عنق من النار يتكلم يقول : وكلت اليوم بثلاثة : بكل جبار، ومن جعل مع الله إلهاً آخر، ومن قتل نفساً بغير نفس، فينطوى عليهم فيقذفهم في غمرات جهنم »[1].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا رجل يموت مشركاً أو يقتل مؤمناً متعمداً »[2].

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إذا أصبح إبليس بثَّ جنوده فيقول : من أخذلَ اليومَ مسلماً ألبسته التاج ، قال فيجيء هذا فيقول : لم أزل به حتى طلق امرأته ، فيقول : يوشك أن يتزوج ، ويجيء لهذا فيقول : لم أزل به حتى عقَّ والديه ، فيقول : يوشك أن يَبَرَّهما ، ويجيء هذا فيقول : لم أزل به حتى أشرك ، فيقول : أنت

---

(١) رواه أحمد ٣/ ٤٠.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك ٤/ ٣٥١، وصححه.

أنت ، ويجيء هذا فيقول : لم أزل به حتى قَتَلَ ، فيقول : أنت أنت ، ويلبسه التاج»[١] .

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « من قتل مؤمناً فاعتبط بقتله ، لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً » . رواه أبوداود ، ثم روى عن خالد بن دهقان سألت يحيى بن يحيى الغساني عن قوله : « فاعتبط بقتله » ؟ ، قال : الذين يقاتلون في الفتنة فيقتل أحدهم ، فيرى أحدهم أنه على هدى لا يستغفر الله[٢] .

هدف المسلم أن تكون كلمة الله هي العليا

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رجلاً أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال: يارسول الله، الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي الأعلى فهو في سبيل الله». رواه الستة[٣] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال : يارسول الله ، رجلٌ يريد الجهادَ في سبيل الله وهو يبتغي عرضاً من عرض الدنيا ؟ فقال

---

(١) الترغيب ٣/ ٢٩٦، والحاكم ٤/ ٢٥١.
(٢) أبو داود ٤/ ٦٥.
(٣) واللفظ لمسلم.

رسول الله ﷺ : « لا أجر له » فقالوا للرجل : عُدْ لرسول الله ﷺ فقال له الثالثة ، فقال له : « لا أجر له » رواه أبو داود .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال : يارسول الله أخبرني عن الجهاد والغزو ، فقال : « ياعبد الله بن عمرو إن قاتلت صابراً محتسباً ، بعثك الله صابراً محتسباً ، وإن قاتلت مُرَائياً مكاثراً ، بعثك الله مرائياً مكاثراً ، ياعبد الله بن عمرو على أي حال قاتلت أو قتلت بعثك الله على تلك الحال » رواه أبو داود .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىءٍ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها ، أو امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه » . رواه البخاري ومسلم .

من حمل علينا السلاح فليس منا

وعن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم ، عن النبي ﷺ قال : « من حمل علينا السلاح فليس منَّا » . رواه البخاري ، وزاد مسلم : « ومن غشَّنا فليس منا » .

حتى الذين يحملون السكاكين ، أو الأشياء الحادة كالنَّبْل والرمح وغيرها ويسيرون في الشوارع ، عليهم أن يكونوا حريصين على عدم إيذاء الناس ، وذلك بلفِّها وربطها .

فعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا مرَّ أحدكم في مسجدنا وفي سوقنا ومعه نَبْل فليمسك على نصالها بكفه أن يصيبَ أحداً من المسلمين منها بشيء » . متفق عليه[١] .

وعن أنس عن النبي ﷺ قال : « الكبائر : الشرك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ، وقول الزور » رواه النسائي .

الطاعة لا تكون إلا لله ولرسوله

وعن عدي بن حاتم أتيت النبي ﷺ وسمعته يقرأ في سورة براءة : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ قال : أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئا حرموه[٢] .

وفي رواية أخرى قال ﷺ : « بلى إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم ، فذلك عبادتهم إياهم » رواه الترمذي .

والطاعة لاتكون إلا لله ولرسوله ، وكل أمر يتعارض مع أوامر الله ورسوله يلقى في القمامة مهما كان مصدره .

وقد ورد عن علي «لاطاعة في معصية الله إنما الطاعة في المعروف » .

---

(١) انظر الفتح ١٣/ ٣٤، ومسلم ٤/ ٢٠١٩ .

(٢) الترمذي ٥/ ٢٧٨ ، والآية من سورة التوبة رقم ٣ .

رواه البخاري ومسلم .

ولأبي داود وللنسائي عن علي رضي الله عنه : « طاعة الإمام حق على المرء المسلم مالم يأمر بمعصية الله ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » .

وللبيهقي في « شعب الإيمان » عن ابن عمر رضي الله عنه : « السمع والطاعة حق على المرء المسلم فيما أحبَّ أو كره مالم يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع عليه ولا طاعة » .

وعن خباب بن الأرت رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : «اسمعوا إنه سيكون عليكم أمراء فلا تعينوهم على ظلمهم ، ولاتصدقوهم بكذبهم ، فإنَّ من أعانهم على ظلمهم وصدَّقهم على كذبهم فلن يرد عليّ الحوض » رواه أحمد .

وعلى هذا الأساس فإن إطاعة مشايخ القبائل ورؤسائها في معصية الله سبحانه ، وقتل الأبرياء وسفك الدماء والحقد والعداء ضد القبائل الأخرى ، والتجمع على أساس عنصري وعرقي وقبلي أو شعوبي ضد الفئات المسلمة الأخرى مهما كان نوعها وعرقيتها هو عمل إجرامي محرم ، وعليه أن يرفض المشاركة في حرب عنصرية أوقبلية أو قومية مهما كان نوعها ، لأن المؤمن لا يقاتل إلا في سبيل الله وإقامة دينه ، وإيقاف الظلم والبغي ، وإحقاق الحق ونشر الأمن ،

وإبادة المجرمين والمنحرفين والكافرين .

إن على المسلم المؤمن أن يتعبد الله بالكتاب والسنة ، فإمامه محمد ﷺ، ودستوره القرآن والسنة ، وقدوته السلف الصالح من الصحابة الأكارم رضي الله عنهم جميعاً .

هذا هو المسلم ، إنه المتبع لأوامر الله سبحانه وأوامر رسوله ، فكل أمر وكل مسألة فيها قال الله وقال رسوله انتهى الأمر فيها ، وليس له الخِيرَة، وليس له العذر أن يترك ما قال الله وقال رسوله للعنصريين والعرقيين من زعماء قبيلة أو غيرهم .

يقول الامام مالك رحمه الله : مامنا إلا رادٌّ ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر (ويشير إلى قبره ﷺ) .

وقال أبوحنيفة رحمه الله : إذا عارض قولي قول الرسول ﷺ فاضربوا بقولي عرض الحائط .

وقال الشافعي رحمه الله : إذا تبين لي الحديث ووصلني وعلمت صحته وأخذت بقول غير الحديث فاعلموا أن عقلي قد ذهب .

وعلى هذا فإنَّ على المسلم أن يرفض الانصياع لأي أمر يتعارض مع القرآن والسنة ، وأن يحكِّم الدين والشريعة في أموره كلها ، وفي كل قضية تعرض عليه ، وعليه الابتعاد عن الرأي والعاطفة والاتجاهات العنصرية والعرقية بكافة أشكالها .

عن أبي سعيد الخدري قال : بعث رسول الله ﷺ علقمة بن مجزِّر - قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه : وأنا فيهم - حتى إذا بلغنا رأسَ غَزاتنا أو كنا ببعض الطريق أذن لطائفة من الجيش، واستعمل عليهم عبدالله بن حذافة السهمي رضي الله عنه ، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ، وكانت فيه دعابة، فلما كان ببض الطريق أوقد نارًا ثم قال للقوم : أليس لي عليكم السمع والطاعة؟ قالوا: بلى، قال: أفما أنا آمركم بشيء إلا فعلتموه؟ قالوا : نعم، قال : فإني أعزم عليكم بحقي وطاعتي إلا تواثبتم في هذه النار! قال : فقام بعض القوم يحتجز - أي يتهيأ للوثوب - حتى ظن أنهمواثبون فيها، فقال لهم: اجلسوا فإنما كنت أضحك معكم، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ بعد أن قدموا عليه، فقال رسول الله ﷺ : «من أمركم بمعصية منهم فلا تطيعوه» وفي رواية : «لو دخلوا فيها ما خرجوا منها»[1].

قيمة المسلم وأهميته لدى الدولة الإسلامية

لقد كان الخلفاء الراشدون ومن تبعهم يهتمون بأوضاع المسلمين وسلامتهم تى خلال الحروب لدرجة أن مسلمًا واحدًا لديهم أحب إليهم من الروم وما حوت.

ولقد كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى قائد نهاوند

(١) سيرة ابن هشام (٤/ ٦٤٠)، ورواه أحمد (٣/ ٦٧)، وابن ماجه.

النعمان بن مقرن المزني :

«بسم الله الرحمن الرحيم، من عبدالله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى النعمان من مقرن، سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد :

فإنه قد بلغني أن جموعًا من الأعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند، فإذا أتاك كتابي هذا فسر بأمر الله وبعون الله وبنصر الله بمن معك من المسلمين، ولا توطئهم وعرًا فتؤذيهم، ولا منعم حقهم فتكفرهم، ولا تدخلنهم غيضة، فإن رجلاً من المسلمين أحب إلي من مئة ألف دينار، والسلام عليك»(١).

وروي أنه كتب إلى جعونة بن الحارث وكان عاملاً له على غزة قائلاً له : «إياي وغارات الشتاء، فوالله لرجل من المسلمين أحب إلي من الروم وما حوت».

وعندما انتصر المسلمون انتصاراً ساحقًا ودخلت جيوشهم نهاوند وأصبهان وجَيّ وقُمّ وكرمان، وولت أخبار نهاوند إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بكى بكاءً مريراً على شهدائها، وكلما ذكر له شهيد زاد بكاؤه، ولما وصلوا إلى ذكر أسماء لا يعرفها بكى وقال : «وما ضرهم أن لا يعرفهم أمير المؤمنين، لكن الله يعرفهم، وقد أكرمهم بالشهادة، وما

(١) أخبار عمر للطنطاوي.

يصنعونه بمعرفة عمر!»[١].

وهذا معاوية بن أبي سفيان يلح على أمير المؤمنين عمر في السماح له بالجهاد عن طريق البحر، فيكتب إلى عمرو بن العاص أن يصف له البحر وراكبه، وعندما يعلم بخطورة البحر وهيجانه يجيب معاوية أمير الشام بقوله: «والذي بعث محمدًا ﷺ بالحق لا أهمل فيه مسلمًا أبدًا، وبالله لمسلم أحب إلي مما حوت الروم».

حرمة المسلم أعظم من حرمة الكعبة المشرفة

ويقول ﷺ مخاطبًا الكعبة المشرفة: «لقد شرفك الله وعظمك، والمؤمن أعظم حرمةً منك» رواه الطبراني.

وقال ﷺ أيضًا: «مرحبًا بك من بيت، ما أعظمك وأعظم حرمتك! وإن المؤمن أعظم حَرمة منك» رواه البيهقيَ في «شعب الإيمان».

وقال عليه الصلاة والسلام مخاطبًا الكعبة المشرفة أيضًا: لا إله إلا الله ما أطيبك وأطيب ريحك، وأعظم حرمتك! والمؤمن أعظم حرمة منكَ، إن الله عز وجل جعلك حرامًا، وحرم من المؤمن ماله ودمه وعرضه، وأنْ نظنَّ به ظنًا سيئًا» رواه الطبراني.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «لأن أستنقذ رجلاً من

(١) التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر.

المسلمين من أيدي الكفار أحبُّ إليَّ من جزيرة العرب)[١] .

متى يحل دم المسلم

وقال ﷺ : « لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث : النفس بالنفس، والثيب الزاني ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » متفق عليه .

وعن جابر عن النبي ﷺ قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوا لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله عز وجل » . متفق عليه .

النار مصير من يقاتل في سبيل قبيلته وسلالته

إن القتل والقتال عنصريةً أو قبليةً أمر لا خير فيه ، وإن كان ظاهره خيراً، فالخير ما حكم عليه الله ورسوله ﷺ أنه خير ، لا ما نقدِّر نحن أنه خير ، والدليل على ذلك هذا الخبر .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال : كان فينا - أي في صفوف المسلمين يوم غزوة أحد - رجلٌ أَتِيٌّ - أي غريب - لا يدرى ممن هو يقال له قُزْمان، وكان رسول الله ﷺ يقول إذا ذُكر له : «إنه لمن أهل النار » ، فلما كان يوم أحد قاتل قتالاً شديداً فقتل

---

(١) كنز العمال ٣/ ٥٤٥، (١١٦٠٦).

هو وحده ثمانية أو سبعة من المشركين ، وكان ذا بأس ، فأثبتته الجراحة فاحتُمل إلى دار بني ظَفَر ، قال : فجعل رجال المسلمين يقولون له : والله لقد أبليت اليوم ياقزمان فأبشر ، قال : بماذا أبشر ؟ فوالله إن قاتلت إلا عن أحساب قومي ، ولولا ذلك ما قاتلت ، قال : فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سهماً من كنانته فقتل به نفسه[١] .

ومعنى أحساب قومه : أنه قاتل دفاعاً عن قومه وعن قبيلته وعن عرقيته فقاده ذلك إلى جهنم .

أيها الأخ المسلم

الإسلام : رسالة ربانية ، عالمية ، ترفض العنصرية ، وتقضي على العصبية ، وتجعل التفاضل بين الناس بالتقوى ، وهذا يوجب عليك أن تحقق انتماءك إلى الإسلام وحده ، وتردد على الملأ قول الشاعر المسلم :

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

جمع الله كلمة المسلمين تحت راية الإيمان والدين .

ومن أراد التوسع في هذا الموضوع والاطلاع على مزيد من أنواع العنصريات كعنصرية الرق، وعنصرية الزواج،

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/٨٨.

والعنصرية السياسية، وعنصرية الجماعات الإسلامية، وأدلة فرضية العمل لوحدة الشعوب الإسلامية ، وتفاضل الصحابة فعليه الرجوع للكتاب الأساسي ـ الإسلام والعنصرية ـ الذي يحتوي على كثير من الفصول الأخرى الهامة .

وصلى الله على سيد الأولين والآخرين وخاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين .

واخَر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، ، ، ، ،

* * * * *

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
الفصل الأول: كيف عالج القرآن الكريم العنصرية بأنواعها	١٣
إبليس أول عنصري يستكبر عن أمر ربه	١٥
العنصرية تزكية للنفس بالباطل	٢٣
كيف كان العرب قبل الإسلام	٢٦
بعض عادات العنصريين والقبلين في النسب وأسماء الأجداد	٢٨
عنصرية اليهود وأنهم أبناء الله	٣٠
عالمية الإسلام منذ العهد الأول	٣٧
المسلمون يتبرؤن من آبائهم وأبنائهم وأقربائهم المشركين	٣٧
المؤمنون من عهد آدم إلى قيام الساعة أمة واحدة	٣٩
قصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام	٤٥
العبر والأحكام التي نستنبطها من قصة إبراهيم عليه السلام	٤٩
لمن يكون ولاء المسلم	٦٣
قتل المشركين الأقارب إذا قاتلونا	٦٦
العنصريون والأنداد	٦٧

القرآن الكريم يقرن المفاخرة والتفاضل مع الكفر ٧٠
عنصرية أبي جهل تمنعه من اعتناق الإسلام ٧٢
عكرمة بن أبي جهل يحدث عن أبيه المشرك ٧٣
قصة أبي لهب المشرك ٧٥
العلاقة بين الأقرباء يوم القيامة ٧٧
المؤمن الأنصاري يطالب الرسول ﷺ بأن يسمح له بقتل أبيه المنافق ٧٨
الانتصار على شيطان العنصرية ٨١
أولياء رسول الله ﷺ هم المتقون يوم القيامة ٨٢
شياطين اليهود يحاولون إثارة العنصرية بين الصحابة ٨٣
الفصل الثاني: ماذا قال سيد البشر عن العنصرية البغيضة ٨٦
مجموعة من الأحاديث النبوية في ذم العنصرية ٨٨
أول دستور يضعه الرسول ﷺ للأمة الإسلامية ٩٩
الفصل الثالث: الأمة الإسلامية ومميزاتها ١٠١
سعد بن أبي وقاص يضحي بحياة أمه من أجل عقيدته ١٠٣
المهاجرون والأنصار يتآخون ويتوارثون ١٠٤
المسلم لايرث الكافر والكافر لايرث المسلم ١٠٥
أخوة العقيدة أفضل وأعظم من أخوة الدم والنسب ١٠٧
الصحابي محيصه بن مسعود يبلغ أخاه المشرك باستعداده
لقتله إذا أمره الرسول ﷺ بذلك ١٠٨

أم المؤمنين تمنع أباها المشرك من الجلوس على فراش
رسول الله ﷺ ١٠٩
نجاح الصحابة في امتحان العقيدة ١١٠
حالة المسلمين الأوائل من فقر وعوز ١١٢
كيف بدأ العنصريون بتدمير الأمة الإسلامية ١١٣
الفصل الرابع: نتائج العنصرية وماتحدثه من جرائم القتل
وسفك الدماء ١١٨
قيمة المسلم وأهميته لدى الدولة الإسلامية ١٣١
حرمة المسلم أعظم من حرمة الكعبة المشرفة ١٣٣
متى يحل دم المسلم ١٣٤
النار مصير من يقاتل في سبيل قبيلته وسلالته ١٣٤
الفهرس ١٣٧

* * * * *